16 em Année No. 766

Lundi — 8 — 3 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٦٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ ربيع الآخر سنة ١٣٦٧ — ٨ مارس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

من مذكراتى اليومية :

قصة فتـــاة

— ٣ —

الأربعاء ٩ مايو سنة ١٩٤٥ :

كلمتنى ضحى اليوم بالتليفون تذكرنى بموعدها عصر الغد بجروبى ؛ وتعتذر من هذا التذكير بأنها تخشى أن تكون استجابتى لمواعيدها فى القاهرة كاجابتى عن رسائلها من العزبة . ولو لم يكن فى مكتبى وهى تتكلم بعض المترمتين لقلت لها إن الأمر بين الحالين جدُّ مختلف ؛ فإن إجابتى عن رسائلها قد أصبحت من فضول القول بعد أن صارحتنى بأنها تطلب الحب ولا تطلب المعرفة ، وتريد الغزل ولا تريد النصيحة ؛ ولكن استجابتى لموعدها أدب من آداب النفس المهذبة ، يزيد فى الحرص عليه شوق إلى رؤية وجه يتجلى فى اليقظة بعد أن تمثل لى طويلا فى الحلم ، ثم أملى أن ينجح فى كبحها اللسان بعد أن فشل فى كبحها القلم . ولقد استخفنى علم الله صوتها الموسيقى فى السماعة فهممت أن أطلب منها تقديم الموعد يوماً ولكننى لم أفعل ؛ لأنى أكبر نفسى أن تخضع فى أية حال لهواها ، ولأنى أوثر أن أقرأ ما بقى من رسائلها قبل أن ألقاها .

حلتُها على قطع الحديث بأجوبتى البطيئة المقتضبة ، لأن المجالسين إلىّ كانوا قد كفوا عن حديثهم وجعلوا يلهمون لحديثى ، وما أدرى أكان ذلك منهم اتباعاً لأدب السلوك أم استطلاعاً لحديث امرأة ! وضمت السماعة وعدت إلى زوّارى الأكرمين أناقلهم أحاديث الأدب وأراجيف السياسة ، حتى انفض المجلس وخلا المكتب فنشرت بين يدىّ ما عثرت عليه ليلة الأمس من بقايا رسائلها الحر ، وأخذت أصفحها ورقة ورقة فألقى المكرر أو السخيف ، وأبقى المفيد أو الطريف . ثم رجعت النظر فيما استبقيت فلم أجد غير رسالتين اثنتين تستحقان التلخيص والتسجيل ، وتستأهلان التعليل والتحليل ، فأثبتهما ملخصتين فى صفحة هذا اليوم من مذكراتى ، لتكونا تكملة لصورتها وتغذية لتصوراتى

قالت الآنسة فى رسالتها ما ترجمته : « مالك تبتعد عنى متراً كلما دنوت منك فتراً ؟ لقد أوصدتَ بابك دونى ثم تركتنى أطرقه وأطرقه حتى أصم أذنىّ الطرق وأنت لا تجيب ! هل تجد فى ردك على رسائلى إحراجاً لك أو إزراء بك أو تبعة عليك ؟ إن كنت لا تحبنى — كما أعتقد — فهلا تظاهرت لى بالحب إشفاقاً على هذا القلب الذى يحترق ولا يجد بَرده إلا فيك ، ويذوب ولا يرى مساكه إلا بك ! كان يقنعنى منك أن تحبنى بالكلام حتى لا تظل موجة حبى حائرة فى الفضاء لا تجد جهاز استقبال ولا أذن مستمع ! لقد تركتنى بسكوتك عنى أشبه بالصوّت فى المغارة لا يسمع غير الصدى ، أو المنقطع فى الفازة لا يجد غير السكون ! أريد أن أعرف هذا المجهول وأستدنى ذلك البعيد ! يخيل إلىّ أحياناً أنه يناديني فى زفيف الريح ،

تبلق فى انعطاف الغصن، أو يعانقنى فى لين الفراش ، فأرهف ، أو أعرض خدى ، أو أنصب صدرى ، فلا أحس وا لهفتاه الرهبة والعزلة والفراغ ! دعنى أبحث عنه فى كل مكان ، سوره فى كل إنسان ، ما دمت لا ترسله إلىّ بالبريد !

دخلت الاصطبل ذات صباح فرأيت الحلاّبة تحلب إحدى اميس ، فطاب لى أن أرى هذا المنظر ، وقام بى أن أجرب العمل ، فأخذت الوعاء من فوق ركبة الحلابة ، وجلست فضاء تحت بطن الجاموسة ، وقبضت بيمناى على حلمة من ت الضرع وجذبتها إلىّ فشخب اللبن حاراً فى يدى . ولذّ لى ب لا أدريه أن أمعن فى غمز الحلمة وعصر الضرع وحلب ، شخباً فى الإناء وشخباً فى الأرض ، وقد دب فى بدنى ة خفيفة ، وسرى فى دمى نشوة لطيفة ، وجرى فى نفسى إلى ل المشتهى نزعة قوية ! ولا أدرى ما الذى ربط فى ذهنى بين اللبن وشهوة الحب ، ولا بين رؤية الجاموسة وذكرى الحبيب . كن ذلك كان وإن جهلت كيف كان . ولا يزال الشوق إلى ه اللذة يعاودنى فأذهب إلى الاصطبل فى الصباح والمساء ، غدوت أبرع من يحلب فى العزبة من الرجال والنساء !

ما ذا تصنع الفتاة الوحدة يا (حبيبى) لتهدىء قلبها الثائر ، نى هواها الطموح ، وتملأ فراغها الموحش ؟ أخى لا يترك ار ولا يتكلم إلا فى الزرع والضرع ، وزوجه لا تفارق الدار تتكلم إلا فى الطهى والغسل ، وأنت لا تدع الصمت ولا كلام إن تكلمت إلا فى الفضيلة والفضل ! أما الكلام الذى ج بالنفس ويأتلف مع الشعور فلا أسمعه إلا فى هتاف حمامة ها ، أو حمحمة فرس لصاحبها ، أو غمغمة بقرة لولدها ، أو تحية البستانى لى وهو ذاهب إلى الحديقة أو عائد منها . وابن البستانى ريان الشباب ، وثيق التركيب ، على وجهه وسامة ، وفى عينيه حة ، وعلى شفتيه جاذبية . يجىء أباه فى أكثر الأيام ليساعده فى ل الحديقة ؛ فكنت كلما رأيته تمنيت أن أديم النظر إليه وأطيل يث معه ؛ ولكن الفروق الاجتماعية التى بينى وبينه كانت شر من طرفه وتعقل من لسانه فلا ينظر إلا خلسة ولا يتكلم جمجمة . دعوته ذات مرة ليقطف لى رمانة لم تصل إليها يدى بجناتى ؛ فلما قطفها وقدمها إلى وقف ينتظر أمراً آخر ؛ ت له بعد أن جست بعينى نواحى الدار وممشى الحديقة : تعال معى نقطف باقة من الزهر ، ونجنى سلة من الثمر . فمشى الفتى بجانبى على استحياء وحذر ، فأردت أن أزيل احتشامه فسألته فى لهجة تسيل أنوثة وعذوبة : أمتزوج أنت أم خاطب ؟ فقال والخجل يضرج محياه : خطبوا لى يا سيدتى ابنة الخولى ، وستزف إلىّ فى موسم القصب . فقلت له ضاحكة : إذن سيكون شهر العسل عظيما ! فنظر الصعيدى إلى مبهوتاً كأنه لم يدرك النكتة ولم يفهم الجملة ! فقلت له : وماذا تقول لفتاتك إذا خلوت بها ؟ فأجاب الفتى فى حرج ودهشة : وكيف أخلو بها قبل الزفاف يا سيدتى ؟ إنى أراها فى الحقل أو أقابلها فى الطريق أو ألمحها فى البيت ، فتغض عنى من طرفها ، وأشيح أنا بوجهى ، لكيلا تتلاقى النظرتان فنأثم مقالة السوء ونضمن دوام الخطبة . فقلت له وأنا أعبر بصوتى المغطوط عن الرثاء والشفقة : مساكين ! إن الخطبة عند المتمدنين تدريب وتجريب ومتعة . تدريب على الزوجية بالفعل ، وتجريب للشخصية بالخبرة ، ومتعة للنفس بالرقص والرياضة والرحلة . إذا كانت خطيبتك بخراء فكيف تعرفها بغير القبل ؟ وإذا كانت مُصنَّة فكيف تكشفها بغير العناق ؟ وإذا كانت مذياعة فكيف تمتحنها بغير الاثنان على (سر) ؟ سأمثل معك دور الخطيبة الحبيبة رحمةً بك وحناناً عليك ، وسأعلمك ماينبغى أن تعمل ، وألقنك مايجب أن تقول . وفى ظل شجرة غناء من شجر التفاح أخرجت منديلى الرقيق فمسحت به ملاغم الفتى ؛ ثم جذبت بيدىّ جانبى رأسه ، ودسست شفتىّ فى زاوية فمه ؛ ثم وثّقت القبلة وعمقتها وطوّلتها وعرّضتها ، وكان الشاب قد صدمته المفاجأة فتصلب أولا ثم استرخى ، وأردت أن أنزع فمى من فمه فاستعصى ؛ ورفعت بصرى إلى أعلى الشجرة فرأيت أفعى (حواء) بجانب التفاحة تريد أن تسقطها إلىّ ، ففررت مذعورة إلى المنزل . وفى اليوم التالى عدت إلى التعليم وعاد إلى التعلم . وكان الفتى فى هذا اليوم على غير عادته نظيف الوجه جديد الثياب جرىء القلب ، فأطلنا الدرس وشغلنا النفس وشققنا الحديث . وتعاقبت الأيام على هذه الحال الراضية ، فسكت فى رأسى صوت كان لا يفتر عن الصراخ ، وسكن فى نفسى وسواس كان لا يني عن الحركة . وكدت أشغل بالفتى عنك ، وبالله والتحقق عن الحب المتخيَّل ، لولا أن أخى وقف من زوجته على الحقيقة ، فضرب بنى علقة دامية وحرمنى النزول إلى الحديقة...

(قصة بقية) احمد حسن الزيات

الحمـــادون الثلاثة

للدكتور جـــواد علي

هم حمّاد الراوية ، وحماد عجرد ، وحماد الزبرقان . هم ثلاثة كانت أسماؤهم واحدة ، وعاشوا في عصر واحد ، وكانوا من أصل واحد ، وعلى رأي واحد ، ووجهة نظر واحدة ، بالنسبة إلى العالم والحياة .

وكانوا من الموالي ، وكانوا متهمين في دينهم وفي أخلاقهم ، وكانوا يروون الشعر ويتعاطونه ، وكانوا جميعاً أصحاب عبث ودعابة ومجانة ، وكانوا على رأس طبقة «الزنادقة» التي ظهرت في العصر الأموي وصدر الدولة العباسية ، والتي ضمت عدداً من الأعاجم كانوا في الأصل من عبدة النار ومن الثنوية القائلين بعنصرين : عنصر النور والظلام ، وعنصر النار والتراب ، ويتفوق النار على الطين ، أمثال عبد الله بن المقفع ، وعبد الكريم بن أبي العوجاء ، وبشـــار بن برد ، ومطيع بن إياس ، ويحيى بن زياد الحارثي ، وصالح بن عبد القدوس الأردي ، وعلي بن خليل الشيباني وغير هؤلاء ممن أسلمت ألسنتهم وكفرت قلوبهم .(١)

ظهرت هذه الطبقة في مدن العراق الرئيسية خاصة ، حيث كان الاختلاط فيها بين العرب والعجم على أشد ما يكون ، وحيث كانت حرية القول على أوسع ما يتصوره إنسان ، وكان معظم رجالها من الأدباء الموالي المتعصبين لقوميتهم ، ولذلك اقترنت هذه الحركة حركة الزندقة بالنزعة الشعوبية المعروفة التي تتحامل على العرب وعلى كل ما هو عربي وإسلامي بنفس الوقت .

وكان كل من ذكرنا من طبقة الأدباء الظرفاء ، المتمكنين من ناصية اللغة والأدب ، ومن المتساهلين في الآداب العامة والتقاليد ، وكانوا كما وصفهم الجاحظ « يجتمعون على الشرب وقول الشعر وهجاء بعضهم بعضاً وكل منهم متهم في دينه »(٢) وكانوا يقضون أكثر لياليهم في سمر صاخب في بيوت المجان ومحبي العبث ، ينفقون ما حصلوا عليه من أثمان المديح أو رشوة « بخلاء » الأغنياء استرضاء لهؤلاء السفهاء الذين قد يتجاسرون عليهم فيهجونهم بآخر ما عرفته من الهجاء وآخر ما وصل إليه قاموس الشتائم عند هؤلاء الشطار من سباب .

وطبيعي أن تكون مجالس هؤلاء متحررة من كل قيود ، بعيدة عن كل مظهر من مظاهر الرزانة والاحتشام ، مبدعة أحياناً ومسفة غاية الإسفاف أحياناً أخرى . وقد حفظ لنا بعض الشهود والرواة شيئاً مما كان يدور في أمثال هذه المجالس الخاصة التي كان يقصدها رهط هؤلاء وجلهم ممن جبل على هذه الجبلة ، الدعابة والمرح والتحلل ، والاستهتار بكل شيء وبالكذب على الماضي والحاضر إن احتاج الأمر إلى ذلك ، فكانوا يضعون ويقولون ويتناشدون ويتقارضون الشعر ساعات طويلة من ليل أو نهار

وعلى الرغم مما عرف عن هذه الطبقة من العبث والابتعاد عن حياة الجد ، كانوا في جملتهم أصحاب علم بلغة العرب واطلاع على مذاهب الشعر في الجاهلية والإسلام ، ووقوف على أسرار اللسان . مثل حماد الراوية الذي « كان من أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها »(١) والذي قال عنه بعض الرواة « إنه قد أفسد الشعر لأنه كان رجلا يقدر على صنعته فيدس في شعر كل رجل ما يشاكل طريقته فاختلط لذلك الصحيح بالسقيم »(٢) ومثل حماد عجرد وكان نفسه من الشعراء المجيدين ، وقد أزعج بشار بن برد الشاعر بأهاجيه الفاحشة وبالمعاني الغريبة المبتكرة التي كان يأتي بها في هجاء ذلك الشاعر السليط الذي كان يخشى الناس لسانه ويرجون من الابتعاد عنه السلامة . ومثل ابن المقفع وغيرهم ممن ذكرنا .

وحماد الراوية هو أبو القاسم حماد بن ميسرة أو ابن أبي ليلى سابور بن عبيد الديلمي الكوفي مولى بني بكر بن وائل أو مكنف ابن زيد الحميل الطائي (٣) وكان زعيم أهل الكوفة في الرواية وحفظ الأشعار كما كان خلف الأحمر وهو من هذه الطبقة ومن هذا الطراز زعيم أهل البصرة في الرواية وحفظ الشعر أيضاً . وكان من المقدمين لدى بني أمية ولا سيما عند « الوليد بن يزيد » الذي عرف بالميل إلى الشعر والشعراء وبالإغداق عليهم وعلى الأخص على أمثال هؤلاء الشعراء . ويظهر أنه لم يكن من المرغوب فيهم عند بني العباس .

(١) أمالي السيد الشريف أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسيني المتوفى سنة ٤٣٦ في التفسير والحديث والأدب . الطبعة الأولى بمطبعة السعادة سنة ١٩٠٧ بالقاهرة ج ١ ص ٨٩

(٢) أمالي المرتضى ج ١ ص ٩٠

(١) ابن خلكان وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٠٥

(٢) أمالي المرتضى ج ١ ص ٩٢

(٣) ابن خلكان ج ١ ص ٢٠٥

ويظهر أن الرجل كان ذكياً جداً غير أنه لم يكن يحسن استفادة من ذلك الذكاء . وأنه لم يتمكن من استغلال مواهبه ما بليات التي كانت عنده . وأنه كان يبالغ في الدعاية لنفسه . كان ينشد دائماً بمقدار ما كان يحفظ ، حتى غلبت عليه الرواية رف بين الناس بحماد الراوية . وقد اضطرته المواقف على تحال والوضع لكي يتفوق على خصومه ويثبت تغلبه على منافسيه كانوا ما شاء الله . فافتضح أمره وانكشف كما انكشف رواة آخرين . ولو كان صاحبنا قد سلك سبيل العقل وتمسك إل الرزانة وشاطر الشعراء النظم وأظهر مواهبه من هذه حية وهي مواهب شعرية كان يعترف بها الناس ويمكن التعرف ا من تلك القصائد التقليدية التي كان يضعها على ألسنة مراء ويصبها بقوالب لا تظهر عليها آثار التزييف إلا بصعوبة ، كان قد فعل ذلك لكان اسمه اليوم بين تلك الأسماء المخلدة في حات شعر الدولتين بدون شك . وكانت ملوك بني أمية يقدمونه ثرونه ويستزيرونه فيفد عليهم وينال منهم ويسألونه عن أيام العرب رها ، وقال له الوليد بن يزيد الأموي يوماً وقد حضر مجلسه ستحققت هذا الاسم فقيل لك الراوية ؟ فقال بأني أروى لكل ر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ثم أروى لأكثر ممن ن أنك لا تعرفه ولا سمعت به ثم لا ينشدني أحد شعراً قديماً محدثاً إلا ميزت القديم من المحدث ، فقال له فكم مقدار حفظ من الشعر ؟ قال كثير ، ولكني أنشدك على كل حرف حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر علية دون شعر الإسلام. قال ستمتحنك في هذا . ثم أمره بالإنشاد د حتى ضجر الوليد ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه توق عليه فأنشده ألفين وستمائة قصيدة للجاهلية ، وأخبر د بذلك فأمر له بمائة ألف درهم . »(١)

ولا أعتقد أن إنساناً يمكن أن يمر بهذه القصة من الكرام ن تعليق عليها ولا تنادر ، والرواية نفسها إن صحت أنها حقيقة فاد تبين لنا مبلغ ادعاء الرجل وإسرافه في الادعاء ، وإسراف الكوفة معه ، وقد كان أهل الكوفة وحماد يشعرون ساح أمرهم فكانوا يقولون : كان النعمان ملك الحيرة أمر خت له أشعار العرب في الطنوج وهي الكراريس ثم دفنها مره الأبيض فلما كان المختار بن عبيد الثقفي أمر بإخراجها فأخرجت . فمن ثم كان أهل الكوفة أعلم بالشعر من غيرهم (١) أما صاحب هذه الرواية لحماد نفسه وللك أن تقول فيها ما تريد .

والظاهر أن ما ذكره ابن سلام في كتابه « طبقات الشعراء » من أنه كان عند النعمان بن المنذر ملك الحيرة ديوان فيه أشعار الفحول وما مدح به هو وأهل بيته فصار ذلك إلى بني مروان أو ما صار منه(٢) ، يرجع إلى روايات أهل الكوفة . وقد رووا ذلك على ما يخيل إلى لبيان سبب تفوقهم على أهل البصرة وسبب كثرة الروايات عندهم ولم يحدثنا أحد لا من أهل الكوفة ولا من أهل البصرة أنه رأى ذلك الديوان أو أخذ منه ، ولو كان ذلك حقاً لما ترك الناس الأخذ منه ولو بأي ثمن كان .

ومن أمثلة تلاعب حماد بالرواية ما يروى من أن الخليفة المهدي سأل المفضل الضبي عن سبب افتتاح زهير قصيدته :

دع ذا وعد القول في هرم خير البُداة وسيد الحضر

ولم يتقدم له قبل ذلك قول ، فما الذي أمر نفسه بتركه ؟ فقال المفضل إني توهمته كان مفكراً في شيء من شأنه فتركه وقال دع ذا أي دع ما أنت فيه من الفكر وعد القول في هرم . فاستحلفه عنه ودعا حماداً فسأله فقال ليس هكذا قال زهير وأنشده :

لمن الديار بقنة الحجر أقوين من حجج ومن دهر

فقر يمتدفع النحائث من ضفوى ألات الضال والسدر

فاستحلفه المهدي فأقر أنه هو الذي أدخلها في شعر زهير . فأمر المهدي أن من أراد شعراً محدثاً فليأخذه من حماد ، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها من المفضل(٣). وهكذا أعلنت الحكومة رسمياً كذب رواية حماد .

وهناك مثلاً آخر على كذب حماد : قدم حماد البصرة على بلال ابن أبي بردة فقال ما أطرفتني شيئاً . فعاد إليه فأنشده القصيدة التي في شعر الحطيئة مدح أبي موسى ، فقال ويحك ! يمدح الحطيئة أبا موسى ولا أعلم به وأنا أروى للحطيئة ؟ ولكن دعها تذهب في الناس ، فذهبت في الناس وهي في ديوان الحطيئة ، والرواة أنفسهم يختلفون فمنهم من يزعم أن الحطيئة قالها حقاً (٤)

وهنالك أمثلة أخرى كثيرة تريك مبلغ استهتار الرواة بالرواية ومبلغ استهتارهم بالناس . ولم يكن حماد أول من سن هذه السنة

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٢٠٦

(١) الخصائص لابن جني ج ١ ص ٩٧

(٢) ابن سلام طبقات الشعراء ص ١٠ ـ

(٣) الأمالي للمرتضى ص ٩١ شرح ١

(٤) ابن سلام طبقات الشعراء ص ١٥ ، الدكتور طه حسين في الأدب الجاهلي ص ١٨٣

بل كان هنالك عدد عديد كل واحد منهم « حماد » فى الوضع بل كان فى هـذا الوقت وقبله وضعوا أقوالا على لسان الرسول والصحابة ثم شاعت بين الناس .

وقد اتهم صاحبنا بالكذب وباللحن وبكسر الكلام . وصاحب روايتنا هذه هو يونس بن حبيب وهو أحد المراجع التى يعتمد عليها ابن قتيبة صاحب «طبقات الشعراء» وعلماء آخرون . وإليك ما قاله عن حماد : « العجب لمن يأخذ عن حماد وكان يكذب ويلحن ويكسر »(١) وهنالك شهادة أخرى هى شهادة ابن سلام وآخرون إذ قال عنه « وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية ، وكان غير موثوق به : كان ينحل شعر الرجل غيره ويزيد فى الأشعار » .

أما الكذب فأمر ثابت عليه ولا أعتقد أن حماداً نفسه كان ينكر ذلك علينا لو كان حياً ، ولا هو من الأشخاص الذين كانوا يرون فى الكذب حرجاً ، ولعله كان يجد ذلك نوعاً من أنواع التسلية وضرباً من ضروب العبث والدعابة . وأما اللحن وكسر الكلام فيجوز صدورهما منه مع علمه بالعربية وتمكنه منها لأنه من أب غير عربى ومن أصل فارسى قريب .

وكان حماد — على ما يدعيه حماد نفسه — من المقربين إلى الخليفة الأموى يزيد الثانى ومن المنقطعين له ، ولم يكن هذا شأنه مع هشام بن عبد الملك فلقد كان هشام يجفوه فلما توفى يزيد وولى الخلافة هشام من بعده خاف « حماد » على نفسه واستتر عاماً عن الناس لا يخرج إلا إلى من يثق به ، ثم خرج بعد ذلك . فلما كان فى جامع « الرصافة » يوم الجمعة طلب الأمير « يوسف بن عمر الثقفى » وكان والياً على العراق فصار إليه فلما رآه ألقى إليه كتاباً فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم : من عبدالله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر الثقفى ، أما بعد فإذا قرأت كتابى هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به من غير ترويع وادفع له خمسمائة دينار وجلا مهريا يسير عليه اثنتى عشرة ليلة إلى دمشق (٢) وسار حماد على جمل مهرى حتى وصل باب هشام واستأذن فأذن له فدخل عليه فى دار قوراء مفروشة بالرخام وبين كل رخامتين قضيب ذهب وهشام جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب حمر من الخز وقد تضمخ بالمسك والعنبر فسلم حماد عليه فرد عليه السلام واستدناه حتى دنا منه فقبل رجله وإذا جاريتان فى أذنى كل جارية حلقتان فيهما لؤلؤتان تتقدان ، فقال كيف أنت يا حماد وكيف حالك ؟ فقال حماد بخير يا أمير المؤمنين . فقال أتدرى فيم بعثت إليك ؟ قال حماد لا ، قال بعثت إليك بسبب بيت خطر ببالى لا أعرف قائله قال حماد وما هو قال :

ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت قينة فى يمينها إبريق

قال حماد هو لعدى بن زيد العبادى فى قصيدة منها :

بكر العاذلون فى وضح الصبح يقولون لى أما تستفيق
ويلومون نيك يا ابنة عبد الله و القلب عندكم موهوق
لست أدرى إذ أكثروا العذل فيها أعدوٌ يلومنى أم صديق

إلى أن بلغ إلى قوله :

ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت قينة فى يمينها إبريق
قدمته على عقار كميت اللون صرف سلافها الراووق
مرة قبل مزجها فإذا ما مزجت لذ طعمها من يذوق
وكطفا فوقها فقاقيع كاليا قوت حمر يزينها التصفيق
ثم كان المزاج ماء سجاب لا صر آجن ولا مطروق

فطرب هشام ثم قال أحسنت حماد(٣) ثم قال اسقيه يا جارية فسقته حتى ثمل ، ثم قال يا حماد سل حاجتك . فقال كائنة ما كانت ؟ قال نعم . قال إحدى الجاريتين قال هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما . وأنزله فى داره ، ثم نقله من الغد إلى منزل أعده له فوجد فيه الجاريتين ومالهما وكل ما يحتاج إليه ، وأقام عنده مدة ووصله بمائة ألف درهم(٤)

وصاحب هذا الحديث هو حماد نفسه ، وحماد من الأشخاص المتهمين كما قلنا ، ونحن فى وضع لا نستطيع فيه تصديق هذه الرواية التى تحمل طابع الدعاية والإعلان ، وهل خلت الأرض من رواة غير حماد ومن أناس لهم إلمام بالشعر ؟ وهل أمن الخليفة من كتب حماد عليه ومن نظم قصيدة فى الحال على الوزن والقافية وهو صاحب أكبر معمل من معامل صنع الشعر ؟ وهل يعقل صدور ذلك من الخليفة هشام بن عبد الملك مع ما عرف عنه من الجد والإمساك والانصراف إلى السياسة والعمل وعدم شرب المسكرات(٤) ولكنها قصة من القصص التى كان يروجها هذا الراوية « حماد » ...

« الكلام صلة »

الدكتور عبد العزيز على

(١) ابن سلام ص ١٥ (٢) ابن سلام ص ١٤

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٢٠٦ ذكرها الحريرى فى كتابه درة الغواص .
(٢) المسعودى التنبيه ج ٢ ص ١٨٤ ، ابن خلكان ج ١ ص ٢٠٧
(٣) ابن خلكان ج ١ ص ٢٠٦
(٤) ابن خلكان ج ١ ص ٢٠٦

لمن أكتب ؟

للأستاذ محمود محمد شاكر

بيني وبينها أيام معتقة كأنها خمر في دِنان الزمن، فإذا ما قدّر لنا أن نجتمع يوماً ، طارت بلبي نشوة ترمي بي إلى عالم ساكن سر ناعم النسمات ، فأفارق بها عالماً صاخباً محترقاً لافح الرياح سف الأعاصير . واجتماعنا هو إحدى الأماني التي يقول في مثلها شاعر :

إني من سعدى وإن لاحت كأنما سقتك بها سعدى على ظمأ بردا

وإذا اجتمعنا وتنهدت بيننا الأحاديث ، فربما فاجأتني بالسؤال أتوقعه ، فيردني سؤالها إلى نفسي رداً عنيفاً لا أملك معه إلا أن بم طرق إلى هذا الوجه الذي يخفي وراءه نفساً ثائرة ، ولكنها كنة على ثورتها سكون الجبال الراسيات . ولست أدري أتلك دى لطائف الحيل التي تحب أن توقظني بها من غفوة الأحلام، تلك يقظة دائمة في نفس لا تطيق إلا أن تكون متيقظة حين عوها الهوى إلى إغفاءة تريحها من ثورة نفسها واضطرابها ؟ ي ذلك كان ، فهي قد أخذتني أخذاً شديداً حين استوت في سها وقالت : حدثني ، لمن تكتب هذا الذي تكتبه ؟ إنهم ماً نيام يغطون ، فلو قذفتهم بالشهب أو الصواعق لناموا على مها أو إحراقها .

فلما أفقت على سؤالها ، جعلت أردده في نفسي وأنا أملأ ي من صفاء هذه الينابيع التي تترقرق في وجهها وفي عينيها . خيراً قلت لها : لن أجيبك إلا حيث تقرأين كلامي ، ودعينا نا ، فإن لقاءنا ساعةً قرت إلينا من هذا الفراق السرمدي .

* * *

لمن أكتب ؟ لم أحاول قط أن أعرف لمن أكتب ؟ أكتب ؟ ولكني أحس الآن من سر قلبي أني إنما كنت لكتب ، ولا أزال أكتب ، لإنسان من الناس لا أدري من ، ولا أين هو : أهو حي فيسمعني ، أم جنين لم يولد بعد سوف ر له أن يقرأني ؟ ولست على يقين من شيء إلا أن الذي أدعو سوف يتحقق يوماً على يد من يحسن توجيه هذه الأمم العربية والإسلامية إلى الغاية التي خلقت لها ، وهي إنشاء حضارة جديدة في هذا العالم ، تطمس هذه الحضارة التي فارت بالأحقاد والأضغان والمظالم ، ولم يتورع أهلها عن الجور والبغي في كل شيء ، حتى في أنبل الأشياء — وهو العلم .

لم يخامر قلبي يأس قط من هذه الفترة التي نعيش فيها من زمننا ، ولم يداخلني الشك في حقيقة هذه الشعوب ، وإن كانت لا تزال تعيش في بلبلة جياشة بأخلاط من الغرور والخداع والعبث ، وفي أكفان من الفقر والجهل والمخافة ، وفي كهوف من الظلم والاستبداد وقلة الرحمة . كل ذلك شيء أراه وأعرفه ، ولكني أستشف تحت ذلك كله نقاء وطهراً وقوة تدب في أوصال هذا العالم الذي أوجه إليه كلامي ، وهو خليق أن يتجمع للوثبة في الساعة التي كتب له فيها أن يهب صرة واحدة تذهل الناس كما أذهلتهم من قبل ، وهو خليق أن يكون سر الحياة الجديدة التي تضرب عروقها إلى عصور بعيدة في تاريخ البشر . ولعل هذه المحن التي أحاطت به من خارج ، والتي استبطنته من داخل ، هي حوافز البعث الجديد ، وهي نار التمحيص التي تنفي خبثه كما ينفي الكير خبث الحديد .

أنا أعلم أن رجال السياسة عندنا لا يزالون أوزاعاً من خلق الله لا ندري كيف نشأوا ، وعلى أي شيء قامت شهرتهم ، ولا إلى أين تمضي أهدافهم ، وهم فوق ذلك كله قد لوّثوا ضمائرهم وعقولهم وأخلاقهم وعزائمهم بأشياء لا يمكن أن تؤدي إلى خير ، وهم قد تأثروا فتنة بأخلاق الساسة الطغاة الذين ابتلي بهم الغرب وامتحنت بهم الحضارة الغربية . ولست أشك ساعة في أنهم فئة لا خير فيها البتة ، مهما دل ظاهر تدليسهم أو تدليس الصحافة باسمائهم على أنهم يفعلون خيراً أو أنهم سوف ينتهون إلى خير . ولست أرتاب البتة في أن الخير كل الخير هو في زوالهم جملة واحدة من مكانهم ، لكي يتيسر لهذه الشعوب العربية والإسلامية أن تهتدي إلى الحق في حياتها وفي جهادها وفي أهدافها .

وأنا أعلم أن رجال العلم من أي أقسامه كانوا ، لا يزالون يتعبّدون أنفسهم لكثير مما لا نفع فيه لأممهم ، بل لعلهم لا يزالون يترفعون عن هذه الشعوب الفقيرة الجاهلة ، والتي هي شعوبهم ، ظناً منهم أنها شعوب لا تستطيع أن تبلغ ما بلغ أن

الناس فى العلم ، فضلا عن أن يدركوا سوابق العلماء فى هذه الفترة من زماننا ، فضلا عن يسبقوا أمم الحضارة الحاضرة فى ميدان هذه العلوم . وهم فى خلال ذلك — إلا من عصم الله — يبسطون ألسنتهم بسطاً شديداً فى أعراض هذه الشعوب ، فيقرفونها بكل مسبة ، ثم يصرفون وجوههم إلى أوربة وأمريكا وغيرهما كأنما هم منها ومن صميمها ، لا من هذه الشعوب البائسة التى ظنوا أن الموت كتاب محتوم عليها .

وأنا أعلم أن أكثر أهل السلطان فى هذا الشرق ، لا يزالون يعيشون فى عزلة لا يبالون قليلا ولا كثيراً بما فيه خير بلادهم ، وأنهم يحتقرون جماهير الشعوب احتقاراً ينسرب فى خاصّ كلامهم كما ينسرب فى أكثر أفعالهم . وهم فئة قليلة فتنتها النعمة والترف واللذاذات ، حتى ما تبالى أن تصب على أممها ضروباً من المظالم كان ينبغى أن تترفع عن ارتكابها ، لا رحمة بالناس ، بل مخافة من الناس ، فالشعوب إذا هاجها ما يهيجها لم تبق على شىء وإن كان فى بقائه خيرها .

وأنا أعلم أن أهل الدين — إلا من رحم ربك — قد رَمَوْا بدينهم ظِهْرياً ، وإن لبسوا لباسه وشهبوا على الناس وغرّوهم باسم هذا الدين . وهم يأكلون باسم الدين ناراً حامية ، وهم قد فقدوا بفقد آداب هذا الدين كل شىء يجعل لهم عند الناس مكانة ترفعهم عن الشبهات ، وبذلك أصبحوا كالعامة التى تحتاج إلى من يقودها ويهديها .

وقصارى ما يقال هو أن الحيلة فى هذا الشرق على اختلاف نحله ومذاهبه وأديانه وأحزابه ، قد صار كأهل سفينة جن أكثر من فيها ، وكلهم يريد أن يقود السفينة كما خيلت له طوائف وساوسه وأوهامه ، مستبداً بما يرى من الرأى . ولكنى مع ذلك لن أيأس ساعة من أهل الخير ، لن أيأس من رجل أو رجال توقظهم هذه البلوى المحيطة بالجماعة ، فيدفعها حب الحياة وحب الخير إلى نفض غبار القرون عن أنفسهم ، ثم تنشط من عقالها إلى قيادة هذه الناس بقوة تنفث فى هؤلاء جميعاً روحاً مسدَّدة هادية تبرئهم مما أصابهم ، وتستنقذ منهم من يصلح للبقاء والعمل فى جيل جديد ، له هدف معين ، وله طريق لا يفارقه ، وله همة جياشة تجعله يطوى المسافات الترامية طياً حتى يصل إلى غايته لم يلحقه كلل ولا سآمة ولا إعياء .

فأنا أكتب لرجل أو رجال سوف يخرجون من غمار هذا الخلق ، قد امتلأت قلوبهم بالقوة التى تنفجر من قلوبهم كالسيل الجارف ، تطوح بما لا خير فيه ، وتروى أرضاً صالحة تنبت نباتاً طيباً

ومهما كان من أمر تلك الطوائف التى ذكرتها ، ومهما كان رأيها فى هذه الشعوب التى تنتمى إليها ، ومهما عدت شعوبها سائمة ترعى أياماً معدودة حتى تتخطفها أرماح الأجل ، فمن هذه (السائمة) سوف ينفرد رجل يقود الشعوب بحقها لأنه منها : يشعر بما كانت تشعر به ، ويألم لما كانت تألم له ، وينبض قلبه بالأمانى التى كانت تنبض فى قلوبها . وهو وحده الذى يعرف كيف يرفع عن عيونها حجاب الجهل ، ويطرح عن كواهلها قواصم الفقر ، ويملأ قلوبها بما امتلأ به قلبه من حب هذه الأرض التى نعيش فيها مضطهدة ذليلة خائفة .

إنه الرجل الذى قد خُلطت طينته التى خلق منها بالحرية ، فأبت كل ذرة فى بدنه أن تكون عبداً لأحد ممن خلق الله على هذه الأرض ، فهو يشرق من جميع نواحيه على أجيال الناس كلها كما تشرق الشمس ترمى بأشعتها هنا وهنا ، ولا يملك الناس إلا أن ينصبوا لها وجوههم وأبدانهم ليذهب عنهم هذا البرد الشديد الذى شلهم وأمسك أوصالهم عن الحركة . وهو يسير بينهم فتسرى نفسه فى نفوسهم ، فتموج الحياة فيهم بأمواجها التى لا يقف دونها شىء مهما بلغت قوته أو جبروته .

ألا إن الشرق العربى لينتظر صابراً كعادته هذا الرجل .

وإنى لأحس أن كل شرق قد أصبح اليوم يتلفت لا من حيرة وضلال ، بل توقعاً لشىء سوف يأتى قد أنسى زمانه ، ففى كل نفس منه خاطرة تختلج . وهذا الإحساس فينا هو الذى يحملنى على الإيمان بأن ذلك كائن عن قريب ، وأننا قد أشرفنا على زمن قد كتب الله علينا فيه أن نجاهد فى سبيله ، ثم فى سبيل الحق والحرية والعدل ، لأننا نحن أبناء الحق والحرية والعدل ، قد ارتضعنا لبانها منذ الأزل البعيد . وكل ما دخل علينا فى القرون الماضية من المظالم والأكاذيب والاستبداد ، لم يستطع أن يخفت ذلك الصوت الذى تتجاوب به نفوسنا باسم الحق والحرية والعدل .

إن هذه الشعوب التى تُرَى اليوم كأنها على بلادها أثقال بالية ممزقة ، قد بدأت تحس أن عليها أن تتجدد أو أن تزول ، وطبيعة الحياة تأبى لها أن تزول ، فهى لابد أن تتجدد . وهذا الدافع

غاندى الفيلسوف المجاهد

للأستاذ حسين مهدى الغنام

— ١ —

فى اليوم الثلاثين من شهر يناير الماضى قتل موهانداس كارامشاند غاندى ، وهو ذاهب إلى الصلاة ، برصاص أحد أبناء ملته ودينه المتعصبين ، فأعاد إلى الأذهان سيرة الأنبياء والمصلحين كما أعاد بحياته حياة السيد المسيح .

لقد كانت حياة غاندى مأساة كما كان موته مأساة أشد وأروع . وكان غاندى فيلسوفا جعل السياسة مذهبه .

وقد ظل خمسين عاماً يكافح فى سبيل استقلال بلاده ، حتى لقيه فى حياته ، ولكنه لم يعش حتى يرى السلام يرفرف على ربوعها الترامية ، وهو الذى وهب نفسه لخدمة السلام .

عاش غاندى كالناسك . لبس ملابس خشنة فى غاية البساطة ، وكان يغزله بنفسه على مغزل يد يدوى ، وحفين (صندلين) من القش !

ولم يأكل اللحم ، بل عاش على الفاكهة والخضر واللبن وقضى حياته كلها مجاهداً . وقد اتخذ جهاده ثلاث وجهات رئيسية :

حدة سوف يعهد للرجل المنتظر أن يزار زئيره فتصغى له آذان ملايين من أبناء الشرق ، ثم تنطلق من مجامعها إليه مجيبة لندائه ، إذا انطلقت إليه أرسالاً ، فيومئذ لن يقف فى طريقها أولئك ساسة المافقون ، ولا أولئك الدهماء المتبجحون ، ولا أولئك المدعون المخادعون ، بل سوف يصيرون نسياً ، وقد طال ما خيلت لهم نفوسهم أنهم الرؤوس والسادة .

فأنا إن كتبت ، فإنما أكتب لأتعجل قيام هذا الرجل من مار الناس ، لينقذنا من قبور جثمت علينا صفائحها منذ أمد طويل . وليس بيننا وبين هذا البعث إلا القليل ، ثم نسمع صرخة لحياة الحرة العادلة يستهل بها كل مولود على هذه الأرض الكريمة فى ورثناها بحقوقها ليس لنا فى فتر منها شريك .

محمود محمد شاكر

الأولى ضد الطبقات المدينة العالية التى فرضها المستعمر على مئات الملايين من طبقات الهند الدنيا ، التى لا تجد القوت .

والثانية جهاده ضد المستعمر .

والثالثة جهاده فى سبيل السلام والحب ، ومناضلة الشرور والخطايا ، آخذا بمبدأ المقاومة السلبية وعدم العنف .

كما أنه كافح كفاحاً اقتصاديا واجتماعيا عظيما ، فنبه الوعى القومى والاقتصادى ، وأنشأ آلاف المدارس ، وحارب الرجعية ونادى بحق المرأة الهندية ، ولكنه غالى فى تقديس الناحية الدينية وغذاها بين الشعب ، جاعلا من التسامح والأخاء بين الهندوس والمسلمين والمنبوذين هدفه الأول ...

ولقد شابه غاندى الفيلسوف الروسى الإنسانى الشهير ، ليو تولستوى ، وتأثر به فى حياته تأثراً كبيراً .

وكان دائماً يبشر بقوله : « أنكم سوف لا تقترفون القتل » ولكنه مات قتيلا !

وكان مثل تولستوى فى لباسه الخشن ، وفى نظرية عدم العنف والمقاومة السلبية ، وفى دفاعه عن السلام ودعوته لأنيان الخير ، والمعروف والمحبة بين الناس جميعاً ، وإن لم يكن تولستوى فى مثل إخلاص غاندى !

وكان الناس فى كل مكان يتشوقون إلى تذوق ثمار فلسفته ، ولكن قلوبهم لم تعمر بمثل الايمان الذى عمر به قلبه ، فلم يفعلوا فى سبيل تأدية رسالته شيئاً أكثر من التمنى !

كان غاندى يعمل فى سبيل الروح ، ولكن الناس الذين يشر بينهم بمبادئه كانت تربطهم أسباب قوية بعالم الماديات الدنيوى فى عالم الوقائع والأرقام التى عمته جميعاً حتى غزت الشرق نفسه ، الشرق أبا الروحانيات ومهد السلام .

إلا أن الشرق شرق بطبعه وغريزته . وفى الشرق لطف غريزى ، فلم يعنت هؤلاء الناس غاندى بالجنون ، كما نعت الروسيون والأمريكيون تولستوى ، ولكنهم بالغوا فى نعتهم للفيلسوف الشرقى حتى ألهوه ، وسموه القديس ... سموه المهاتما !

ولعل غاندى أخطأ فى مخاطبته لعامة الجماهير ، وتبشيره بينهم ، كما قال بعض مفكرى الهند ، وقالوا لو أن غاندى أنصف نفسه لجمع حوله خلاصة الشباب الطامحين إلى بناء الهند الحديثة ، فإن التعاليم السامية العميقة تفعل فعلها فى نفوس الذين أصابوا

من الثقافة حظا كبيراً ؛ وإلى هذا يعزون بعض فشله فى تعميم دعوته .

* * *

يقول السردار إقبال على شاه عن غاندى والشعب الإنجليزى « لقد أخطأ غاندى فى فهم عقلية الرجل الإنجليزى المتوسط ، إذا كان هـذا الشخص وجد ، ولهذا لم تفهمه الغالبية من الشعب البريطانى ، فلقد اختلفت العقليتان كما يختلف القطبان شمالا وجنوبا ...

« ولم يكن غاندى كذلك بالشخصية الرسمية القوية العنصر ، ومن هنا كان اختلافه عن ساسة الهند اليساريين ، فقد كان دائماً يعتذر للرسميات خطاياها ، وإن صح هذا فى الهفوات ، فإنه لا يصح فى الخطايا قطعاً !

« وكان غاندى فى نظر الرجل الإنجليزى فيلسوفا ضالا ، أو الكاهن ارفيع المقهور . وعقلية الرجل الإنجليزى لا تقبل هذا الوضع ، فلم تأبه له كثيراً ، لأنها لم تفهمه .

« ولكن للانجليز ذاكرة قوية ... وإنهم ليذكرون ما فعل غاندى قديماً من أجل أبناء وطنه المهضومين المدقعين الذين تدوسهم العلية من القوم ، ويذكرون ما صنع فى حرب البوير والزولو من عمل جليل وهو رأس كتيبة الإسعاف الطبى .

« إلا أن غاندى احتل من تفكير الإنجليزى ما يحتله كبار الإنجليز أنفسهم . والإنجليزى تسوءه الحملات العنيفة على أمثال هؤلاء ، لأنه يعتقد أنهم مخلصون ، والإنجليزى يرحب بالصراحة والإخلاص ويحترمها !

« ولقد استاء الرأى الإنجليزى العام من الحملات التى كانت توجه إلى غاندى فى بعض جرائدهم ، ومن الصور الهزلية التى تصوره عاريا بلا أسنان ، أصلع الرأس ، مخلوقاً عريان إلا من ذلك اللباس التقليدى .

« والمسلمون والإنجليز يتفقون فى هذه الناحية ، فكلاهما يحترم الشخصيات الفذة ، ويأنف من السخرية اللاذعة منها ومن مهاجمتها بلا اعتدال ، على عكس الغربيين الآخرين .

« وكان غاندى الوطنى ، والفيلسوف ، والداعية ، مجهولا من العالم كله ، حتى اعتزم أن يعتزل المحاماة فى جنوب أفريقيا ، وينقلب مجاهداً وسياسياً قوياً ..

« وكان قبل ذلك قد رأى بعض أنحاء الدنيا ، ورأى تعصب البيض ضد الملونين ، وإن كان هذا خف اليوم إلى درجة ما ! »

* * *

واقد حورب غاندى كثيراً حتى الكسندر العظيم كان يساعد معارضى غاندى مساعدات مادية كبيرة ، ليحدوا من نجاحه فى الهند .

ولكن ذلك الناسك الهزيل استحوذ على ألباب الملايين من الهنود ببساطته الدينية التناهية ، فاحترموه ثم أحبوه ثم عبدوه واعتقدوا أنه شبه إله !

فى سنة ١٩٢٢ سجن غاندى ، ثم أطلق سراحه بعد عامين وفى تلك الأثناء كان معارضوه فى حزب المؤتمر ، وهم المعروفون باسم سواراجست ، أكثر من اتباعه ، وأحسن منهم تدريبا واستعدادا ، وحضروا اجتماعا لهم وعارضوا ما سموه دكتاتورية غاندى فى حزب المؤتمر ، ثم انسحبوا ، فاعتبر غاندى هذا هزيمة له وانسحب ...

وعلى الرغم من تلك الهزيمة ، فقد كان لهذه اللفتة النفسانية البليغة أثرها فى تقوية غاندى فقد جلس صامتا ، وأخذ يتحدث بعد قليل ، ثم تكلم عن هزيمته ، وعن حالة الهند المؤسية ، ثم انحدرت دموعه على خديه وتتابعت سريعة . وهنا بكى جميع الحاضرين معه بدموع غزار . وانضموا إليه واحداً واحداً ، وهنا عادوا إلى صفه ثانية ، وكسبهم إلى جانبه من أضعف نقطة حساسة هاجمهم فيها .

فهذه القوة — فى بساطة مظهرها — وبتلك النفحة السيكولوجية حرك غاندى قلب الهند على بكرة أبيها ...

وكانت الجماهير تنظر إلى آرائه على أنها غير مستحيلة التحقيق فصدقوه فيما قال ، إذ كان فى نظرهم مبعوثا سماويا ، ويجب أن يكون صادقا فى آرائه .

وقدسى غاندى الحكومات الإنجليزية بالحكومات الشيطانية فصدقه الملايين من الهنود ... وما زالوا يعتقدون نفس الاعتقاد ، ولكنهم نسوا أن غاندى هو صانع هذا التعبير .

وكلما مرت السنون ، وكلما فشل غاندى فى تحقيق ما وعد به شعبه ، وكلما كان فشله مريعا ، زادت مكانته فى نظر الشعب وازداد هذا الشعب له حباً واحتراما وتبجيلا وتقديسا !

(يتبع)

حسين سهمى الغنام

الشعر فى العصر المملوكى [1]

هل يمثل الحياة فيه ؟

للأســـتاذ يوسف البيومي

نستطيع أن نقول نعم ولا نكون مجازفين ، ونستطيع أن نقول لا ولا نكون مبعدين .

نستطيع أن نقول إن الشعر فى هذا العصر على الرغم من جنوحه إلى التقليد والصنعة قد يستطيع الباحث المنقب أن ينظر من خلاله أحياناً إلى بعض مظاهر الحياة سياسية أو اجتماعية .

نستطيع أن نقول إن الشعر قد صمت عن أهم مظاهر الحياة فى هذا العصر فلم يفصح عن رأيه فيها : صمت عن مظالم العصر ، بمفاسد المماليك أمراء وسلاطين . وصمت عن المفاسد الاجتماعية بوصف ملاهى مصر والقاهرة ومغانيهما وما كان يحدث عند الاحتفالات للأعياد القبطية وغيرها من تجاهر بالفسق والدعارة ، من تظاهر بشرب الخمر والحشيش . وإذا صمت عن هذين ثم تحدث عن غيرهما فإنه يكون حديثاً لا فائدة منه ولا غناء فيه .

نستطيع أن نقول ذلك كما نستطيع أن نعلل قلة ما ورد من الشعر فى هذين الموضوعين الخطيرين بضياع جل الشعر الذى قيل فيهما ضمن ماضاع من أشعار الشعراء ودواوينهم وهو كثير [2]

ولما كانت مظاهر الحياة قد تعددت فى هذا العصر وتنوعت بإنا سنقسمها وندرس كل قسم على حدة لنستطيع أن نبين عن هذا الإجمال بالتفصيل ممثلين .

خضع الشعب لحكم استبدادى قاس أبنا عن قسوته ووصفنا موقف الشعب منها وعللنا هذا الموقف فيما سبق [3] ونذكر الآن ن موقف الشعر من هذا الحكم الظالم ، ومن حياة السلاطين لخاصة وقد ملئت دعارة وفسقاً — إلا فى القليل النادر — لم يختلف عن موقف الشعب عامة والعلماء خاصة ، فتحكيم الأهواء وحبس الحريات ، وكبت الشعور كان قدراً مشتركا بين عامة الشعب وخاصته بين السوقة والكتاب والبراة ورجال الدين . ولكنا رأينا أحياناً تنفيساً عن الصدور المخنوقة ببعض القطوعات وأكثر ما كان ذلك حينما يولى زمن السلطان أو الأمير وتذهب دولته ولا يجد الشاعر فى ذلك حرجا ولا يخشى منه بأساً . بل حينما يرى فى ذلك أرضاء لخلفائه ووارثى الملك بعده أو مغتصبيه منه .

كان المظفر حاجى مغرماً ببعض المغنيات منقطعاً إليهن من النظر فى أمور الدولة فأرغم على إخراجهن من القصر فكانت بنفسه عليهن حسرة لم تنقض . وقد حاول أن يتسلى عنهن بلعب الحمام الذى أنفق عليه أموالا ضخمة ، وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم (فى رسالة الشعر فى عصر المماليك) ونريد أن نذكر الآن أنه لما قتل ذبحاً قال صلاح الدين الصفدى :

أيها العاقل اللبيب تفكر ... فى المليك المظفر الضرغام
كم تمادى فى البغى والغى حتى ... كان لعب الحمام جد الحمام

وقال فيه أيضاً :

حان الردى للمظفر ... وفى التراب تغفر
كم قد أباد أميراً ... على المعالى توفر
وقاتل النفس ظلماً ... ذنوبه ما تكفر

وكان الناصر (حسين بن محمد بن قلاوون) مغرماً بالنساء ويستصحبهن معه فى أسفاره (لأنه لم يكن له ميل إلى الشباب كعادة الملوك من قبله) [1] فلما قتله يلبغا قال بعض الأدباء فى قصته مع يلبغا ومحبته للنساء موجها أسماء سور من القرآن الكريم — ونلاحظ أن الشعر قيل بعد مقتله كما نلاحظ أن الرغبة فى التوجيه هى مبعث هذا الشعر :

لما أتى للماديات وزلزلت ... حفظ النساء وما قرا للواقعه
فلأجل ذاك الملك أضحى لم يكن ... وأتى القتال وفصلت بالقارعه

---

(١) عن فصل من رسالة (الشعر فى عصر المماليك) للكاتب .

(٢) هذا احتمال ثم هو لا ينطبق على موقف الشعر من حياة السلاطين الأمراء ومظالمها لأنا عللنا صمته عن هذين وأرجعنا أن الشعر ما كان له أن يتحدث عن هذه الحياة وتلك المظالم .

(٣) فى فصل خاص من الرسالة المذكورة (الشعر فى عصر المماليك)

(١) هذه عبارة المؤرخين للناصر حسن علمناها كما هى لننبه إلى هذه العادة (القبرى بالغلمان) وكيف شاعت وذاعت بين الملوك فى هذا العصر ثم إلى صمت الشعر والشعراء عنها .

لو عامل الرحمن فاز بكهفه ... وبنصره فى قصره فى السابعة
من كانت القينات من أحزابه ... مطمط به الدخان ناراً لامعه
تبت يدا من لا يخاف من الدعا
فى الليل أذا ينشى يقع فى القارعة

وكان سنجر الشجاعى منشد عمارة مدرسة قلاوون ووزير الديار المصرية فى عهد الناصر محمد بن قلاوون من أقسى المماليك وأظلمهم ، فلما قتل وطافوا برأسه على مشعل قال سراج الدين الوراق :

أباد الشجاعى رب العباد ... وعقباه فى الحشر أضعاف ذلك
عصى ربه فالمعا نعشه ... وشيع للدفن فى نار مالك

والشجاعى هذا هو الذى يحذر ابن السلعوس منه بعض الشعراء حيث يقول :

تنبه ياوزير الأرض واعلم ... بأنك قد وطئت على الأفاعى
وكن بالله معتصما فانى
أخاف عليك من نهش (الشجاعى)

وكانت عادة التسمير والتعليق منتشرة يعاقب بها الخارجون حتى الوزراء ، فهذا الفخر بن مكانس قد علق (بسرياق) من رجليه لما غضب عليه برقوق بعد أن ضرب ضربا مبرحاً وها هو ذا يذكر هذه الحادثة معتذراً عنها بقوله :

وما تعلقت (بالسرياق) منتكسا ... زلة أوجبت تعذيب ناسونى
لكننى مذ نقشت السحر من أدبى ... عذبت تعذيب هاروت وماروت

وكانت المظالم تنصب على خلفاء المسلمين فيخلعون ويسجنون وقد حكى الشعر بعض ذلك فى المقطوعات : قبض برقوق على الخليفة المتوكل على الله وخلعه وسجنه فقال شهاب الدين ابن العطار :

أبشر أمير المؤمنين فما جرى ... أقوى دليل أن عزك سرمد
لا تخشى قيد العدا مفلولة ... وبد الخلافة لا تطاولها بد

وابن الوردى أجرأ شعراء العصر على التعرض لمظاهر الحياة السياسية ومظالم السلاطين فى كثير من مقطوعاته

لما ولى الأشرف كجك وهو ابن ثمانى سنين قال ابن الوردى فى ذلك واصفا خلف الأمراء وتنازعهم !

سلطاننا اليوم طفل والأكابر فى ... خلف وبينهما الشيطان قد زغا
وكيف يطمع من مسته مظالمة ... أن يبلغ السؤل والسلطال مابلغا

وفى سنة ٧٤٢ عوقب الأمير اؤلؤ القندشى بدار العدل بحلب حتى مات واستصفى ماله وشمت به الناس فقال ابن الوردى فى ذلك :

اؤلؤ قد ظلمت الناس لكن ... بقدر طلوعك اتفق النزول
كبرت فكنت فى تاج فلما ... صغرت سحقت سنة كل لولو

وفى سنة ٧٤٠ هـ قبض الناصر محمد بن قلاوون على النشو شرف الدين القبطى الأصل وعاقبه حتى هلك تحت العقوبة بعد أن كان قد قهر أهل القاهرة وبالغ فى الأيذاء والمصادرة والقتل والخنق فقال ابن الوردى :

النشو لا عدل ولا معرفه ... قد آن للأقدار أن تصرفه
من أتلف الناس وأموالهم ... يحق للسلطان أن يتلفه

وتاريخه وديوانه مملوءان بأمثال ذلك وهكذا على الرغم من انصباب المظالم من كل جانب على هذا الشعب وعلى الرغم من أنها أخذت على المحكومين كل تفكيرهم حتى رأيناها تظهر فى أخيلتهم الشعرية ويستمدون منها التشبيهات المختلفة كقول بدر الدين بن حبيب يتحدث عن الخمر .

مظلومة سجنت من بعد ما عصرت
مع أنها ما جنت ذنبا ولا اجترحت [1]

فإنهم قد وقفوا عامة وشعراء وعلماء حيالها هذا الوقف المزرى الشائن : لم يجأروا بشكوى ولم يظهروا ما كمن فى نفوسهم من استياء وألم ، وإن ظهر شىء من ذلك فعلى مارأيت من هذا الاحتياط وبعد أن يكون المشكو مشلول القوى عاجزاً عن أن يظلم أو يرفع ظلماً ، وبعد أن يكون خلفه الذى يتقرب إليه بما يقال فيه بنهج نهجه ويؤذى الشعب أيذاءه وربما كان أيذاؤه إشنع وأقسى وأفظع وأنكى وأشد وقعا على نفوس الشعب شعرائه وعلمائه وذوى النفوذ فيه .

يوسف البيومي
المدرس فى كلية اللغة العربية

(١) يشير إلى عادتى السجن والعصر وأخذ الشعب بهما من غير جناية ولكنها أشارة فى حديث عن الخمر مبتها كما ترى الولوع بالتصوير .

هل هناك تحريم تعدد الزوجات؟

للأستاذ إبراهيم زكي الدين بدوي

— ٣ —

ولا يفوتني بمناسبة الرد على هذا الدليل بشقيه — أن أوجه نظر بوجه عام إلى أن القرآن الكريم ليس مجرد مجموعة تشريع Code ؛ بل للمشرع الأعظم إلى جانب ذلك — كما قدمنا — أغراض ومقاصد أخرى يبلغها بأسلوبه الخاص مما لا يدخل مثله نطاق مهمة المشرعين الوضعيين فحرام أن يحاول أحد إخضاع نهج القرآن الفذ لنهج هؤلاء المشرعين القائم على مجرد السرد لمواد مبوبة . فيقال مثلا في مقام الاعتراض على المعاني والأغراض الواضحة من آية تعدد الزوجات : لماذا عبر بكذا ولم يعبر بعبارة « بسيطة موجزة » ، ولماذا يعبر عن مدلول الآية بمضمن آية أخرى لها تعلق بموضوعها ، أو لماذا عبر عن هذا المدلول في سياق غرض آخر لا تعلق له بموضوعه وجواباً لعبارة وطية عن هذا الغرض ، ويجعل مثل هذا التحكم في الأسلوب القرآني الرفيع أساساً للتأويل البعيد للنص صرفاً له عن معناه الصريح في حل التعدد ؛ هذا المعنى الذي ظاهرته الأحاديث والأخبار وإجماع الأمة قاطبة قولاً وعملاً منذ عصر النبوة حتى الآن

٧ — أدلة العنصر الثاني : واستدل معاليه لرأيه في تفسير الآية الثانية بالدليلين الآتيين :

الدليل الأول — أن لفظ العدل وارد في هذه الآية والآية السابقة بحروفه فلا يمكن أن يكون معناه فيهما إلا واحداً على حقيقته الشاملة للماديات ثم المعنويات العاطفية جميعاً ، وأن الآيتين متكاملتان أوجبت أولاهما الاقتصار على الواحدة عند خوف العدل ، وأكدت الثانية أن هذا العدل غير مستطاع ؛ فأوجبت ذلك الاقتصار على الواحدة وجوباً لا انفكاك منه .

والرد : أن هذا الدليل إنما يجري فيما يتكرر من (المعرف بأل) من الأسماء ، فيكون المراد بالسابق واللاحق واحداً . وأساس هذه القاعدة اللغوية أن المعرف بأل إذا تكرر كانت (أل) فيه للعهد ، فيدل على أن المراد بالاسم اللاحق عين المراد بالاسم السابق المعهود . والتعبير عن العدل لم يرد « اسماً » بل ورد « فعلا » في الآيتين وأبان الشق الثاني من الآية الثانية وهو المبدوء بقوله تعالى (فلا تميلوا) أن المراد بالعدل في الآية الأولى هو العدل المستطاع وبه في الآية الثانية العدل المطلق على ما قررته في مقالي السابق وما سأزيده بيناً فيما يلي :

الدليل الثاني — أنه لو صح أن الشق الثاني من الآية الثانية مبين أن المراد بالعدل الذي جعل شرطاً لجواز التعدد هو العدل المستطاع ليتعارض هذا النص مع قوله تعالى (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) ولكان في ذلك إشكال شديد يضطرب له قلب المسلم وتصطرع فيه ذمة من يريد السير على مقتضى شريعة الله القائمة ؛ إذ كيف يأمر سبحانه بالاقتصار على الواحدة عند خوف عدم العدل ، ومع حكمه بتحقق هذا الخوف حتما لعدم إمكان العدل يسقط عمل مقتضى هذا الحكم فيجعل الرجل حراً في تعديد الزوجات بشرط مراعاة « العدل المستطاع » بينهن ؟ إن هذا يستلزم أن قوله تعالى : (فلا تميلوا) ناسخ لقوله : (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) ولا يجرؤ أحد أن يقول بهذا النسخ .

والحقيقة أن الأمر أيسر من ذلك ، فلا تعارض بين النصين ولا حاجة إلى القول بالنسخ ، وما الإشكال الذي بدا لمعالي الباشا شديداً إلا نتيجة لأخذه جزء الدعوى في الدليل مما يعتبر مصادرة على المطلوب وهي من مفسدات الدليل كما هو معلوم . فدعوى معاليه — فيما استقر عليه رأيه أخيراً — ذات شقين : الأول أن العدل الوارد في النصين واحد وهو العدل المطلق ، والثاني أن العدل المستطاع المعبر عنه بقوله تعالى (فلا تميلوا كل الميل فتذروها) هو مجرد حكم وقتي خاص بالزوجات الموجودات وقت نزول هذه النصوص . ومعاليه أقام دليله على أساس ثبوت الشق الأول مع أن الدعوى بشقيها هي محل النقاش وهو في مقام الاستدلال لها . فقد استدل إذن على الدعوى بالدعوى نفسها وهذا باطل .

٨ — أدلة العنصر الثالث . الواقع أن هذا العنصر من رأي معالي الباشا الذي اضطر إلى تكلفه — كما قدمنا في التمهيد — دفعا لما استشعره من تضارب ظاهر بين تأويله للآيتين وركة تشوب النظم الحكيم نتيجة لهذا التأويل ، لم يقمه على سند من

دليل عقلي أو نقلي ، وإنما افترض افتراضاً حالة محنة وقع فيها المسلمون لما نزلت الآية مقتضية بجملتها — فيما يرى معاليه — تحريم التعدد ، وإن المسلمين هلعوا وجأروا هم والنبي إلى الله متململين من هذه المحنة الراهنة ، فلطف بهم فبين مراده بأن أنزل قوله (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) لا تنظيما المستقبل الأدبي كما يقولون (أي كما يقول أصحاب الرأي المخالف لرأي معاليه) بل تنظيما للحالة الوقتية الناشئة عن تلك المحنة التي وجدها المسلمون حائقة بهم ، وهي حالة الزوجات المتعددات الموجودات فعلا عند نزول هذا القول ... ما الدليل على وقوع المسلمين في مثل هذه المحنة وجأرهم هم والنبي بالشكوى ، وإن الآية الثانية نزلت للتخفيف من ذلك ؟ ! لا دليل !! وإنما يصرح معاليه بأن هذا الاستنتاج يؤيده فيه قوله تعالى (ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن) مع أن هذه الآية لا تؤيد استنتاجه في قليل أو كثير ، فقد كان دأب المسلمين سؤال النبي واستفتاؤه في كل شأن من شؤونهم بوصفه صاحب الرسالة والتشريع الجديدين ، فسألوه عن الخمر والميسر والمحيض والقتال في الشهر الحرام والمواريث والساعة والروح وعن المولى جل وعلا وغير ذلك من مختلف الشؤون المتعلقة بالتشريع والعقائد والأمور الغيبية ، كما سألوه عن النساء أيضا ، فلماذا يختص معاليه السؤال عن النساء بالدلالة على وقوع محنة وجأر بالشكوى واستجابة للتخفيف الخ ! أم أن ذلك كان قاعدة مطردة في كل ما سألوا النبي عنه في هذه الموضوعات فوجب القول بحدوثه أيضاً في سؤالهم عن النساء ؟ !

وهل كان شأن المسلمين في الصدر الأول التململ والجأر بالشكوى هم والنبي من كل ما ورد به الشرع مخالفا لعاداتهم كقاعدة عامة يمكن طردها في جميع جزئيات التشريع — ومنها ما يختص بتحريم تعدد الزوجات — بغير ما حاجة إلى دليل خاص؛ أم أنهم كانوا وعلى رأسهم النبي عليه السلام على العكس من ذلك يتقبلون كل ما يرد به الشرع عن رضى وإيمان بأن فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة وتطهيرهم من أوضار الجاهلية وأرجاسها ؟ ثم لماذا يجعل معاليه هذه الآية دالة على تململ العرب من التعدد خاصة مع أنه ليس سوى أحد الشؤون المتعلقة بالنساء والواردة هذه الآية وما يليها مباشرة من آيات يبين السياق أنها نزلت معها للرد على الاستفتاء في هذه الشؤون ؟ .

وإذا نحن ضربنا صفحا عن المطالبة بالدليل على وقوع المحنة والشكوى أفلا يحق لنا أن نطالب بالدليل على أن المقصود بقوله تعالى (فلا تميلوا . الآية) ليس سوى حكم وقتي ، مع أن ظاهر هذا النص دال بطريق الأشارة على أن إمكان مراعاة العدل المستطاع مجزئ بصفة عامة في حل التعدد المشروع وليس ثمة ما يصرف النص عما يدل عليه بظاهره ؟ (بيان ذلك أن الحكم بتحريم الميل كل الميل مرتب على وصف الرجال بعدم استطاعة العدل ولو حرصوا ، فما ورد في عبارة هذا النص هو من قبيل ترتيب الحكم على الوصف بالفاء ، ولفظ « النساء » الوارد في الوصف عام مما يجعل النص مفيداً بظاهره جريان الحكم في جميع النساء ، فلا يمكن قصره على الموجودات في عصمة الرجال وقت نزول الآية إلا بمخصص ؛ وأين هو المخصص ؟) . وإذا كان ما استنتجه الباشا مرادا للشارع بهذه الآية فكيف يعبر جل وعلا عن ذلك بعبارة يخالف ظاهرها مراده فيقع الناس بسبب ذلك في لبس تشريعي لم تكن لهم عنه مندوحة القرون الطوال يقارفون فيها المحرم نتيجة لهذا اللبس ؟ ! وكيف لم يدل بأي طريق من طرق الدلالة على حقيقة المراد بهذه العبارة غير المقصود ظاهرها وبخاصة أنه دل على ما هو أهون شأناً تتعلقه بالماضي لا بالحاضر حينذاك وذلك بتعقيبه تحريم نكاح كل من زوجات الأب والأختين باستثناء ما قد سلف ؟ ثم أين بيان النبي في ذلك ومهمته عليه السلام أن يبين للناس ما نزل إليهم ، وبخاصة في مثل هذا الذي وقعوا فيه في أشد اللبس إذا نحن تمشينا مع رأي الباشا ؟ أين الدليل على هذه النقطة التي هي حجر الزاوية في نظرية الباشا الجديدة والتي أراد معاليه أن يجعل منها حلقة اتصال بين تأويليه المتعارضين للآيتين فكانت بحق « الحلقة المفقودة » ؟ ! فليتفضل علينا معالي الباشا بهذا الدليل — إن وجد — فنكون لصنيعه من العارفين ، ونسلم له رأيه على طول الخط . إذ ليس رائدنا — علم الله — سوى التزام جانب الحق .

(يتبع)

إبراهيم زكي الدين بدوي
المتخصص في الشريعة الإسلامية والقانون
من جامعتي الأزهر وباريس وفؤاد

مسابقة الفلسفة للطلاب السنة التوجيهية (٦، ٧) :

٧ ـ فى الوجود وعلله

للأستاذ كمال دسوقى

أما وقد وقفتَ على العلل الأربع لابن سينا وأرسطو من بعده ، وعرفت ما هى منها علل الوجود ، وما هى علل الماهية ، ورأيت أن غرضنا هنا ليس إلا علتى الوجود : الفاعلية والغائية من حيث هما موجدتان لعلتى الماهية : الهيولى والصورة ؛ فإنه يجدر بنا أن نبسط لك أنواعاً من الفروض فى ترتيب الموجودات وأقسامها عند ابن سينا ، قبل أن نوغل معه فى إلهياته.

ذلك أن الموجودات تنقسم باعتبار المادة والصورة إلى ما لا مادة له ولا صورة ، وإلى ما له مادة وصورة ، والصورة وإن كانت توجد مفارقة للمادة ، فإن هذه لا يمكن أن تعرى عن الصورة ، بل يكون وجودها بدونها وجوداً بالفعل — بل بالقوة ، وترتيب الموجودات على هذا الأساس — وبحسب شرفها وأحقها بالوجود هو أولا : الجوهر المفارق غير المجسم ، ثم الصورة المجردة ، ثم الجسم — الذى هو فى مادة وصورة — ثم الهيولى التى هى مجرد مادة وجودها بالقوة ، وأخيراً الأعراض التى تلحق بهذه الجواهر: كالكيف والكم والمتى (الزمان) والأين (المكان) والفعل والانفعال — والوضع ... الخ

والموجودات باعتبار وجودها واجبة وممكنة ، فواجب الوجود هو الموجود الذى متى فُرض غير موجود عرَض منه محال ، وممكن الوجود هو الذى متى فرض موجوداً أو غير موجود لم يعرض منه — هذا ضرورى وذاك لا ضرورة له ، وليس وجوده ولى من عدمه أو العكس . واجب الوجود يكون واجب الوجود بذاته أو لا بذاته — أى بغيره ، فالذى بذاته هو الذى لا بشىء آخر ، أى شىء يلزم محال من فرض عدم وجوده . والذى لا بذاته هو الذى لو وُضع شىء غيره مكانه صار واجب الوجود مثله كالأربعة عند فرض اثنين واثنين ، وكالاحتراق عند وجود المادة المحرقة والمحترقة وعلة الاحتراق

وتستطيع على ضوء هذه المعلومات أن تفهم كيف يتدرج بك ابن سينا إلى إثبات واجب الوجود لذاته — الذى هو الله — فالعال الموجدة للشىء فى مقابل العال المقوّمة للماهية ، تكون علة للصورة وحدها كالسرير بعد أن يصنعه النجار — أو علة للصورة والمادة معاً — كالجوهر المفارق الذى للسرير أو لغيره من مجموع مادته وصورته — أو علة الإيجاد والتركيب والجمع بين المادة والصورة — وهى العلة الفاعلة أو الموجدة التى هى علة واحدة أو أكثر مما سبقها من العلل أعنى أنها علة وجودها وليست علة عليتها أو معناها كالعلة الغائية التى من أحكامها أنها علة فى ماهيتها لعلية العلة الفاعلة بالفعل ، وأنها معلولة فى وجودها للعلة الفاعلة هذه ؛ لأن الفاعل أو الموجد إنما يتحرك لتحصيل هذا الغرض ، فتصبح الغاية الأخيرة دافعاً أول له .

وعلى هذا فكل موجود — إذا نظر إليه فى ذاته — ومن غير التفات إلى علله الموجدة ، فهو بحيث يجب له الوجود فى ذاته أو لا يجب ، أى أن يكون واجب الوجود لذاته — كالحق القيوم — أو ممكن الوجود بحسب ذاته — كبقية الموجودات وما حقه فى نفسه الإمكان فليس يصير موجوداً من ذاته ، فإن وجوده أولى من عدمه لحضور شىء فيه أو غيبته ، فممكن الوجود بذاته هو إذن واجب الوجود بغيره — أى أنه ممكن الوجود من حيث هو علة لغيره — ويستمر هذا التسلسل لا إلى غير نهاية ، فإذا كان كل معلول لابد له من علة ، والعلة إلى علة أخرى؛ فلابد من الوقوف إلى علة العلل أو العلة الأولى التى هى نهاية السلسلة وهى واجبة الوجود بذاتها — والتى هى علة كل وجود — وموجدة حقيقة كل وجود فى الوجود ، والعلة النهائية التى ليس قبلها علة .

وبيان ذلك أنه إذا كان لديك سلسلة آحاد من الموجودات كل واحد منها ممكن بذاته واجب بغيره ، وظلت تترقى بهذه السلسلة ، فأنت فى النهاية بين إحدى ثلاث :

أ — إما أن ينتهى بك هذا الترقى أو هذه الطغمة hierarchie

من الموجودات إلى علة ليست معلولة — فتكون حينئذ واجبة بذاتها — وعلة هذه العلل — وتسمى حينئذ واجب الوجود .

٢ — وإما أن يكون التسلسل إلى غير حد ، بأن لا تجد فى آحاد السلسلة علة غير معلولة ، وحينئذ تكون علة هذه الآحاد خارجة عن جملتها ، وتكون مغايرة لآحادها وواجبة بذاتها ، إذ لو كانت غير ذلك لكانت واحدة من السلسلة .

٣ — أو يكون التسلسل دائرياً لا يتناهى — فتكون بعض الآحاد أو جملتها علتها جميعاً ، فتكون معلولة لذاتها ، ويصبح الجملة والكل شيئاً واحداً — وفى هذه الحالة لن تكون الجملة معلولة للواحد — لأنه هو معلول بها ، وان يكون بعضها هو العلة ؛ إذ ليس بعضها أولى بهذه العلة من غيره ، والجملة لا تكون علة الآحاد ، وإلا لم يحتج إليها ما دام كل واحد فى السلسلة معلولا لما قبله علة لما بعده — فسقطت هذه الحجة — وبقيت سابقتاها التى لا بد أن تنتهى فى كليهما — مع التناهى فى التسلسل أو اللاتناهى — إلى طرف خارج عنها — غير متقدم لها فى الزمان — هو علتها اللامعلولة — وهو واجب الوجود الذى هى ممكنة به .

وبعد إذ فرغ الشيخ الرئيس من إثبات واجب الوجود فى ذاته على هذا النحو ، شرع فى إثبات صفاته إيجابيها وسلبيها : كالوحدة وعدم الكثرة أو التركيب والانقسام ، وعدم المشابهة أو الضدية ، وأنه تعالى عاقل لذاته معقول لذاته ، أى أنه عالم قيوم self existent

ولإثبات وحدة واجب الوجود ، يقرر أن الأشياء قد تختلف بأعيانها وقد تتفق — والمختلفة بأعيانها قد تتفق فى مقوماتها أو فى أمر عارض لها ، فينتج لدينا أربعة أقسام يهمنا منها النوع الأول من الأشياء : أعنى المختلفة بالأعيان (بالذات أو الهوية identite) المتفقة فى مقوماتها (حدودها الرئيسية من جنس ونوع Constituents) ، وبينها أمر تتفق فيه وآخر تختلف فيه اتفاقاً واختلافاً لازمين أو عارضين من جانب وجه الشبه أو وجه الخلاف ، أما اللازوم فيما تتفق فيه كاشتراك الإنسان الناطق والحيوان الأعجم فى الجنس « حيوان » فهو صحيح ،

٢١ ، ٣٠

وأما اللازوم فيما تختلف فيه لزوم النطق والعجمة فى الإنسان أو الحيوان فمحال كذلك عروض ما تتفق فيه لما تختلف فيه جائز ، وعروض ما تفترق فيه ليس بمنكر ، كاطلاق الإنسانية على هذا الإنسان أو ذاك ، فالعرضية هنا واضحة الجواز .

ومقدمة أخرى يسوقها فيلسوفنا للبرهنة على وحدة واجب الوجود هى أنه يجوز أن تكون صفة ما كلية سبباً لصفة أخرى جزئية ، وهذه لا تقل منها جزئية — فماهية الشىء أو فصله أو خاصته أو عرضه يمكن أن تكون سبباً لصفات أخرى فيما عدا الوجود — إذ الفرق بين الوجود وسائر الصفات أن هذه توجد بسبب الماهية ، والماهية سببها الوجود . فما هو سبب لا يكون مسبباً — وما هو علة لا يصبح معلولا ، وما هو متقدم فى الوجود لا يتقدم عليه غيره فى الوجود . وللامام الرازى على حجج ابن سينا هنا مناقشات ومحاكمات ، وللطوسى على هذا الشارح الفاضل مآخذ واعتراضات . وجملة القول بعد هاتين المقدمتين أن واجب الوجود ما لم يتعين لم يكن علة لغيره ، لأنه بغير هذا التعين لا يوجد فى الخارج — وما شأنه ذلك يمتنع أن يكون موجداً لغيره ، وتعينه ذاك إما أن يأتيه من كونه واجب الوجود — وحينئذ لن يكون ثمة واجب وجود غيره ، وثبتت وحدانيته ؛ وإما أن يكون لأمر غير كونه واجب الوجود — فيكون حينئذ معلوماً — لأن وجوده يكون إذ ذاك من غيره ، ويكون الوجود ماهية أو صفة لغيره — وهو محال — هذا من حيث لزوم ما به الاشتراك وما به الاختلاف بين التعين والوجود الواجب ، وبإتمام ذلك بتطبيق عروض وجوه الاتفاق ووجوه الامتياز بينهما — على حد تقسيمنا الرباعى السابق فى المقدمة (كما تجد فى شرح الرازى ص ٢٠٥ والطوسى ٢٠٤ — ٢٠٦) ينتهى ابن سينا إلى فساد الثلاثة الأخيرة ، وإثبات تعين واجب الوجود — وبالتالى وحدته — ذلك لأن الأشياء التى لها حد نوعى واحد — أى لا تطلق على كثيرين ، وخصوصاً إن هى لم تكن فى مادة — لم تتعدد أشخاصها ، بل كان تعينها لازماً لنوعها أو لشخصها وحده ، وواجب الوجود ليس نوعاً يشترك فيه أشخاص ، ولا جنساً تشترك فيه أنواع ، ولا يقال على كثرة أصلا

ومن هذا نرى أن واجب الوجود لا ينقسم فى الكم ولا فى
ى ؛ لا فى الكمية ولا فى الماهية ، إذ لو تركبت ذاته من
ين أو أشياء مجتمعة ، لكانت هذه كلها أو آحادها أسبق
فى الوجود ومقومة له ، ولكانت بالتالى علة وجوده ، وهو
قلنا ليس معلولا ولا مركبا ولا منقسما فى الكم إلى أجزاء
شابهة ، أو فى المعنى إلى واجب وجود وماهية ، بل هو جوهر
يط غير متجزئ ، وحتى وجوده ذاته ليس جزءاً من ماهيته
متمما أو مقوما لها ، فماهيته هى أنيته (وجوده الخاص الذى
المبدأ لعامة الموجودات) وإنما التكثر بالقسمة الكمية إلى
ة وصورة ؛ وبالقسمة المعنوية إلى وجود وهيولى ؛ فهو الجسم
كن المحسوس الذى له من نوعه أشباه - ولا كذلك واجب
جود ، فإنه لا يشارك شيئاً من الأشياء الممكنة فى ماهيتها
جنسها أو نوعها ، بل هو مستقل بذاته التى لا جنس لها
فصل — والتى من ثم لا يمكن تعريفها أو تصورها فى العقل
، أو تصويرها فى موضوع أو جوهر .

وكما أن الأول لا ندّ له ولا شبيه ، ولا جنس له ولا فصل ،
حد ولا تعريف ، بل شهود وعرفان بالقلب والنظر ؛ فلا ضد
كذلك ، سواء أكان هذا الضد عند العامة الساوى فى القوة
ع ، وعند الخاصة الشارك فى الموضوع المعاند غير مجامع :
الضد فى الحالة الأولى معلول ، ومثله لا ينهض ضداً للواجب
ول ، وفى الحالة الثانية ليس للأول موضوع فيشاركه فيه
د ، أو يتعاقب عليه بعده أحد .

وطبيعة الأول تجعله بحيث يعقل ذاته وتتعقله ، فهو واحد
م ؛ ذاته غير قائمة بغيرها — بل بنفسها ، ومجردة عن علائق
ادة ، منزهة عن العهد والضعف وكل حس أو وهم أو تخيل
شأنه أن يجعله غير معقول أو يمت إلى الحس بسبب ، ومن
ن ذلك شأنه فقد بين الشيخ الرئيس فى النمط السابق لهذا أنه
ير عاقلا ومعقولا — وعاشقاً ومعشوقاً — فانظره .

ونهاية المطاف ما ينبه عليه ابن سينا من الفرق بين مذهبه
إثبات وجود الله وبين غيره من المذاهب ، فبينما المتكلمون من
لمين يستدلون بالمخلوقات على الخالق ، وبالصنعة على الصانع ،
و ما ذهب إليه كثير من الفلاسفة الموحدين — مسلمين
سيحيين ؛ وبينما الحكماء الطبيعيون يستدلون بوجود الحركة
على محرك ، والمحركات إلى محرك أول — كما هى حجة أرسطو
خصوصاً ؛ إذ الفلاسفة الإلهيون — وهو منهم — يستدلون
بالنظر فى الوجود ذاته على إثبات واجب الوجود ، فى مقابل
الممكن ، ثم يتبعون ذلك النظر فى ذات واجب الوجود بإثبات
صفاته — على هذا النحو الذى فعل ابن سينا — بمعنى أنهم
يستدلون بالعلة على المعلول — لا العكس — وهو أكثر يقيناً ،
وأتم شرفاً ، وأولى بقومه الإلهيين الصديقين الذين لا يرون
الله فى « الآفاق وفى أنفسهم » بل يستشهدون بالحق على كل
شىء — عملا بقوله : « أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد »؟
فلم يحتج إثبات وجود الحق ووحدانيته وبراءته عن السمات إلى
تأمل لغير نفس الوجود ليشهد به الوجود من حيث هو وجوده —
ثم يشهد هو بعد ذلك على ما هو واجب بعده .

تلك هى طريقة إثبات وجود الله عند الإلهيين من الإسلاميين
كما يعبر عنهم ابن سينا فى أروع كتاب له فى الحكمة المشرقية .

كمال دسوقى

وزارة الأشغال العمومية

الديوان العام إعلان

تعلن عن وجود وظيفتين من الدرجة الثامنة الفنية لحاسبين بتفتيش عام ضبط النيل ومطلوب شغلها من المصريين الحاصلين على شهادة الدراسة الثانوية القسم الخاص شعبة العلوم أو الرياضة الحاصلين على مجموع كلى للدرجات لايقل عن ٦٠ ٪ .

فعلى الراغبين أن يتقدموا بطلباتهم على الاستمارة ١٦٧ ع . ح برسم حضرة صاحب العزة سكرتير عام وزارة الأشغال العمومية وأن يبينوا فيها مجموع الدرجات التى حصلوا عليها فى ميعاد لايتجاوز ١٥ مارس سنة ١٩٤٨ . ٩٠١٤

صـــوف و (دمور)

جلست ذات مساء فى دكان الخياط ضجراً من ضياع وقتى فى انتظار بدلتى متعجباً من أن يخلف الخياط موعده إياى أربع مرات وهو لا يزداد خجلا فى كل مرة عنه فى سالفتها وإنما يزداد هـدوءاً وصفاقة وجه لأنه لم يخجل قط وذلك فيما أرى لكثرة ما ألف من خلف الوعد ...

ولم أجد شيئاً أتفرج به بعد أن فرغت من التفكر فى صفاقته فثقل علىّ الإنتظار وهممت بالإنصراف ، وإذ ذاك دخل الدكان شابان حاسرا الرأس لم ألبث أن أحسست أن فيهما ما أنشد من فرجة ... كان أحدهما فيما قدرت فى العشرين أو فوق ذلك قليلا ، وكان الثانى دونه بنحو عامين ، وكانا كلاهما من أناقة اللبس وسطوع الألوان بحيث يستوقف ذلك منهما البصر قبل أى صفة غيره .. ونظرت فإذا بأصغرهما يتخطر إلى المرآة فينظر فيها نظرات أشاعت فى عينيه وملامحه جميعاً الإعجاب والغبطة ، ثم يصلح رباط عنقه ويصف شعر فوديه ، وقد اطمأن إلى بريقه ونعومته ، ويستدير يمنة ويسرة فينظر إلى عطفيه وجانبيه ، ثم يلقى نظرة على هيكله كله فى بدلته الجديدة ، ويستدير المرآة مزهواً يصفر بشفتيه لحناً وفى مشيته من الطراوة والتخلج ما لا يدع فى بدنه من الرجولة إلا الإسم. وأخرج الثانى مشطه ومشى إلى المرآة فأصلح شعره ورنق فى لمحات قصيرة من جمال طلعته وأناقة بدلته ، ثم جاء فجر مقعداً وجلس عليه قبالة صاحبه الذى اختار أن يجلس على حافة منضدة فى وسط الدكان معتمداً بكبته بيده تارة ، مستنداً إلى ذراعيه يكاد يستلقى على ظهره فوق المنضدة تارة أخرى ... وما اختار المنضدة مقعداً فيما أعتقد إلا ليبقى تجاه المرآة يستمتع بما يرى من وجاهة .

وأخرج أصغرهما علبة سكائره ومدها إلى صاحبه ، وراحا يرسلان الدخان فى جو الدكان ورأيت لأصغرهما أوضاعاً يتكلفها للسيكارة بين أصابعه وفى فمه وفى كفه إذ يشير بها أثناء الحديث ، وأوضاعاً للدخان كيف يرشفه وكيف ينفثه وذلك عنده من مصطلحات الأناقة والظرف ، واستبطأ الخياط ، وضجرا من أن تضيع دقائق من وقتهما الثمين فى انتظاره ؛ وكان الأصغر يثب إلى الباب كل دقيقتين أو ثلاث يضن بأناقة ورشاقة أن يذهبا سدى طول هذا الوقت الذى يحجبه فيه الدكان وهو ما خرج ورفيقه من دارهما إلا لتعجب بهما الغانيات ! وصحبه رفيقه إلى الباب وقد أبصرا من بعد فى ضوء المصابيح بعض الفتيات ، وعادا يفتقدان ساقى هذه ويمتدحان قوام تلك ؛ ثم جلسا يستعرضان فى ضحك وتحمس ما يعجبهما فيمن يعرفان من كواكب السينما من سيقان وعيون وشفاه ، وكل منهما يدافع عن وجهة نظره فى قوة ، كما لو كانا يتجادلان فى مسألة من مسائل العلم أو الأدب أو الاقتصاد ، وهيهات أن يبقى ما يرعاه فيه من علم الجمال وما حفظاه من أسماء الكواكب الزهر فى رأسيهما فراغاً لشىء من ذلك الجد وهما بعد كما عرفت من كلامهما طالبان فى الجامعة ...

وجاء الخياط فسأله الأصغر عما عنده من قماش ، ونظر نظرة فى الألوان وسأله عما يطلب ثمناً لبدلة منه ؛ فقال الخياط أربعة وعشرين جنيهاً . وإذ ذاك ألقى الفتى بالقماش من يده ، وقال وهل ألبس بدلة بأربعة وعشرين جنيهاً ؟ وتملقه الخياط بقوله إذا كان مثلك يا سعادة البك لا يدفع هذه القيمة فمن يدفع ؟ وضحك الفتى ورفع رأسه وتأبه وشمخ بأنفه وقال للخياط أريد بدلة كهذه وأشار إلى بدلته ، لقد أخذ خياطى ثمناً لها خمسين جنيهاً ... وكأنما أراد الفتى أن يبين للخياط بدليل آخر مبلغ جهله بقدره ، فأشار إلى رباط رقبته وسأله كم تظن ثمن هذه الكرافتة ؟ فقال الخياط لا يقل عن جنيه ونصف يا سعادة البك ! فضحك الفتى ثانية ضحكة مازجتها السكدرة وقال ثمنها ثلاثة جنيهات ونصف ... ثم سلم هو وصاحبه وخرجا من الدكان .. ونظر إلى الخياط وقال لهذا السبب ينجح الخواجات فأيهم الواحد من هؤلاء اللاعبين بالمال إلا أن يقال إنه يلبس بدلة ثمنها كذا ، أما قيمتها الحقيقية فآخر ما يفكرون فيه ، وفى البلد آلاف بل ملايين لا يجدون بضعة أمتار من الدمور ..

وملت بموضوع الحديث عن وجهته لما فى نفسى من ضجر وغيظ من الخياط الناقد ، فقلت وهل ينجح الخواجات بهذا وحده ؟ فهز رأسه مستفهماً فقلت : وبصدقهم فى المواعيد ... ومضيت بدون بدلتى ضجراً من خلف الخياط وإن بقى لكلامه أثر قوى فى نفسى ظل يذكرنى أياماً بالجنيهات الخمسين وبضعة الأمتار من الدمور

القفيف

على الأعراف (*)

للاستاذ محمود غنيم

كنانة بعد طول مطاف ... وقفت سفينتها على الأعراف؟
كشفت الأمور وأمرها ... داجي الغياهب حالك الأسداف
السلام فقلت: دون سلامكم ... وقع الصوارم والقنا الرعاف
ما ساد السلام بمالم ... حُرِمَ الضعيف به من الانصاف
بن وثوا السلامَ قضوا بما ... يدع السلامَ مزعزعَ الأكناف
ا فقاحت من بوادر حكمهم ... ريحُ الدم الفوّار للمُستاف
ا القضية في السلال فهل تُرى
يومَ القيامة يومَ الاستئناف
لى طال التداول بينهم ... ليس الصباح على البصير بخاف
داول إن قُرصَ الشمس لا ... يحتاج ناظره إلى كشّاف
ت بمعسول الوعود ممالكٌ ... لم تجن غيرَ مرارة الأحلاف
عن ميثاقُ المحيط رواية ... وهمية محبوكة الأطراف
ت قضية مصرتوب رياسهم ... يا للرياء وتوبه الشفّاف
نا الأحرارُ لما تكلّموا ... بخصومهم مالوا على الأحلاف
ن عاما في احتلال دائم ... يا للكنانة من سنين عجاف
ّ ألمّ بها فأصبح ربّها ... ثم استباح كرامة الضياف
استقل النيل والمحتل في ... واديه محمولٌ على الأكتاف
سار له مذاق واحد ... ولو أنه متعدّدُ الأوصاف
سنا بأحرار لعمري مابدا ... لوجوههم طيف من الأطياف

بينا في الجنوب تحيةً ... كالزهر كالٌ بالندى الرفاف
رعترتكم وما في غيرها ... من عترة الكرم ولا أسلاف
ل ألف بيننا بنميره ... كتآلف الندمان حول سلاف
رضاع ليس يفصل بيننا ... في الوضع غير شريعة الأحجاف
عنكم الدهاة بزائف ... من قولهم عذب المذاق زعاف
ن بارضنا وبارضكم ... كالغيم في الجوّ الطليق الصافي
ي تبعَ الدخيل منوّمٌ ... في الصحو مسلوب الإرادة غاف

إن غرّه كرمُ الدخيل فطالما ... ذُبحَ الفصيلُ بمدية الملّاف
ضموا الصفوف إلى الصفوف وأرهفوا
بيضَ العزائم أيما إرهاف
إن الأماني كالغواني دأبها ... ألاّ تلينَ لخاطبين ضعاف
لا يفقدُ الحقُّ الصريحُ بنفسه ... كلا ولا عدلُ القضاة بكاف
الحقُّ يعوزُه لحينٌ ساهر ... كالسيف تعوزه يد السيّاف
واقد تألّبت الخطوبُ على الحمى ... وبنوه رهنُ تناحر وخلاف
ما ضر لونسي الجميع نفوسهم ... فيعودَ صفوُ الودّ بعد تجاف
شتّى فئات يهدفون لغاية ... فكأنهم سِفرٌ بألف غلاف
هتفوا لزيد بالحياة وخالد ... لكن وقفت على الجلاء هتافي
بطل الجلاء سقت ضريحك ديمةٌ ... تسقي الرياض بها طل وكاف
درجت عليك الأربعون ولم تزل ... من كل قلب عالقاً بشغاف
لك سيرة يتلو الشباب فصولها ... كالآي من ياسين والأحقاف
سور ترتلها فتشمل في الدنا ... ما تشمل النيران في الألياف
قف بالفلاة وقل: هنا الكنز الذي
دفنوه بين جنادل وفيافي
قف بالفلاة وقل: هنا فردٌ إذا ... قيس الرجال يُقاسُ بالآلاف
حمل الأمانة وحده فكأنه ... من نفسه في فيلق زحاف
ما ضر أعظمه تواضع قبره ... فالدرّ درٌ وهو في الأصداف
يا سيد الشهداء غرسك لم يزل ... نسقيه من دمنا ليوم قطاف
وتراثك الوطنيُّ في يد معشر ... لا واهن عزماً ولا وقاف
نفرٌ من الأشراف أن جدّ الحمى ... في البحث عن نفر من الأشراف
رجعوا إلى أعراقهم فتجمعوا ... بعد الخلاف تجمعَ الألاف
من كل باذل نفسه أو ماله ... للنيل مقتنع بعيش كفاف
ما أنكروا حقاً ولا إن جادلوا ... في باطل لجئوا إلى الأسفاف
لا الحكم طأطأ من رؤوسهمو ولا ... لانت قناتهمو لغمز ثقاف
لا تستخف الحادثات حلومَهم ... ويقابلون الموت باستخفاف
قالوا: معاهدةُ الفخار وقلتمو ... داءٌ عضال لا دواء شاف
حتى إذا لاح الصباح لناظر ... شهدوا لكم بإصابة الأهداف
أدركتمو عيب الأمور كأنكم ... تتلونها من صفحة المرّاف
وتزعزع الزعزعون وأنتمو ... كالطود في عصف الرياح وقاف
ووفيتمو لبلادكم بالعهد في ... ومن يقل به الأمين الوافي

محمود غنيم

(*) ألقيت هذه القصيدة بدار الأوبرا الملكية في إحتفال الغرب الوطني أربعين عاماً على وفاة المرحوم مصطفى كامل

الأدب والفن في أسبوع

مهرجان الشباب :

كان يوم الجمعة يوم الشباب ، وهو اليوم الذى أقامت فيه الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف ، المهرجان الأدبى والفنى لتعرض به نتائج المباريات التى نظمتها للشباب فى الأدب والفنون فمنذ أكثر من شهر يقوم المشرفون على هذا المهرجان بالإعداد له ، وتقوم لجان التحكيم بالفحص وكشف المواهب ؛ حتى وضعوا أيديهم على البواكير ، وقدموا ما طاب منها على مسرح الأوبرا الملكية يوم المهرجان .

افتتح الحفل الأستاذ فريد أبو حديد بك المدير العام للثقافة بكلمة أبدى بها فكرة المهرجان الذى اعتزمت وزارة المعارف تنظيمه سنويا فى شهر عيد الميلاد الملكى ، لحفز قوى الشباب الأدبية والفنية وتدعيم نبوغه ، وبين آثار الفنون فى حياة الأمم ورقيها ، ومما قاله أن مصر التى نشطت فيها الحركات الأدبية والفنية ولم يعقها الاحتلال — حرية أن تبالغ فى هذا الفمار شأواً أبعد ، على أيدى الشباب فى العهد الجديد ، وقال إنه كان يلاحظ علامات السرور على وجوه أعضاء لجان التحكيم حين تلوح لهم لمعات فى إنتاج الشباب ، « إن ذلك يدل على ما يرجون فيهم من خير وما يودون لهم من توفيق .

وبعد أن ألقى الفائزون فى مباراة الغناء نشيدا ، تقدم الفائز الأول فى مباراة الشعر (وترى بعد هذا كلمة عنه) فألقى قصيدة ، ثم ألقى الفائز الأول فى الزجل زجلا مطلعه « كلمة فاروق حلوة » ثم تلا ذلك عزف موسيقى إجماعى وانفرادى على مختلف الآلات من طلاب ومحترفين وهواة ، وتخلل العزف نشيد وقطعة غنائية ثم وزعت الجوائز على الفائزين فى المباريات ، وبعد ذلك مثل فريق مدرسة الخديو إسماعيل الثانوية مسرحية إسماعيل الفاتح ، وأعقبه فريق هواة الأسرة الأباظية بتمثيل الفصل الثانى من مسرحية قيس ولبنى .

الشاعر الأول :

كانت مفاجأة المهرجان هذا الشاب الشاعر عبد العليم محمد القبانى الذى يشتغل بخياطة الملابس البلدية بالاسكندرية ، وكانت القصائد التى قدمها فى المباراة الشعرية قد استرعت التفات لجنة التحكيم فى الشعر وأثارت إلى جانب دهشتها شيئاً من الشك ؛ فلما كان الأستاذ فريد بك أبو حديد بالاسكندرية عرج على دكان هذا الترزى الشاعر ، وجلس بجانبه يحادثه متوسما أمره ، وجذب عبد العليم كراسة من درج بدكانه ، وجعل يسمع فريد بك أشعاره ...

فاز الأستاذ عبد العليم فى المباراة بقصيدتين هما « من ليالى البحيرة » و « ليلة فى حان » وقد ألقى الأولى فى المهرجان ، وأولها :

قلت لى لما تلاقينا على شط البحيرة
فى مساء رائع الفتنة موفور المسرة
كلما حاولت أن أنساه لا أذكر غيره

يا حبيبى ابتسم الدهر لنا
فتعال نجتنى زهر المنى
لا تقل لى فى غد موعدنا
نحن لا نملك إلا يومنا

ويقول فى القصيدة الثانية « ليلة فى حان » :

يا ابنة الحان هفا قلبى إليك فاتركيه يحتسى من خمر ثغرك
طاف بالدنيا وأمسى فى يديك ظامئاً لا يرتوى إلا بخمرك

فدعيه يحتسى حتى الصباح
من جنى الكرمة والحسن المباح
يا ابنة الحان دنا الفجر ولاح
وأنا لا أرتجى عنك رواح

على أن التمثيل بأجزاء من هاتين القصيدتين لا يعطى فكرة صحيحة لقيمتهما ، فكل منهما ذات وحدة وخيال متصل .

اهر من الجنوب :

وقد فاز فى مباراة الشعر شاب من إخواننا السودانيين هو عر إدريس محمد جماع ، وهو طالب بكلية دار العلوم ، ومن دته يصف النيل حين يغضب :

الجنادل قامت دون مسريه أرغى وأزبد فيها وهو غضبان
ـ الهول فى الأجواء منطلقاً وكان فى كل صوب منه بركان
ـ الصخر ذرا فى مدارجه فبات وهو على الشطين كثبان
ة النيل تفنى الصخر حدتها فكيف إن مسه بالضيم إنسان

طيب الأول :

يذكر القراء ما كتبته فى عدد مضى عن مباراة الخطابة لاحظته على موضوعها وهو بيت من حكم المتنبي؛ وكان ذلك فى ى جلسات المباراة ، وفى جلسة أخرى اقترح على المتبارين نوع التالى : « تمثل وقد جئت إلى هذه المباراة جما من ثراة ـ جاؤا ينتظرون كلمتك فوجهها إليهم ولتكن غايتك حثهم على اء فلسطين بالمال فإن غيرهم يفتديها بالأرواح » وحدد للتفكير ة ، وجعل للخطابة عشر دقائق ، وكان بين المتبارين الشاب يب عبد الصبور مرزوق الطالب بكلية دار العلوم ، فروى ة ثم تقدم يقول :

لى صاحبي ليعلم مابى أى شىء غدوت منه حزينا
حرب وفتنة وجحيم فى فلسطين ، أين ناقى المعينا
ن الوحى أصبح اليوم نهبا وعرين الأسود بات مهينا

ثم سار بعد ذلك فى الموضوع نثرا ، ووجدتنى أسرع إلى ميل بعض قوله ، فمنه « فلن يزيدنا عسفهم إلا إباء ونورة ، يزيدنا كيدهم إلا كفاحا وقوة ، ولن يفل عزيمة الشرق أنه . ، ولن يحول دون نجاحه أنه مستعبد » ومنه « فقد شربنا لغطام كيف نجالد اليأس فنحيله أملا ، وكيف نغالب الأقدار دنا أجلا ، وكيف نستعذب الموت فى كفاح الحق ، ونستعيد ى وإن طال على الماضى الزمن » .

وقد عاد إلى ارتجال الشعر فى أثناء الخطابة فقال :

غسلوا الأرض فى فلسطين أرضى من بعد طهر ورجس
وسلوا المسجد المقدس عنهم وهو يبكى بروعة وتأس
« أحرام على بلابله الدو ح حلال للطير من كل جنس »

والبيت الأخير لشوقى بك ، أتى به على سبيل التضمين .

وكان عبد الصبور هو الفائز الأول فى الخطابة ، ولم يلق فى المهرجان بالأمر ، لأن المهرجان كان يذاع ما يلقى فيه ، والإذاعة تحتم الاطلاع على النص من قبل ، والخطابة ارتجال .

بريد أن يشبع قراءة :

هو أحد الفائزين فى مباراة القصة ، وهو الشاب الأديب محمد يسرى أحمد الطالب بكلية الطب ؛ قدم إلى المباراة قصتين قصيرتين : « الغربال » و « الأعمى » والتى فازت الأولى ، لا لأنها أحسن من الثانية ، ولكن اللجنة قرأت قصة « الأعمى » فألفتها قصة جيدة من حيث القيمة الفنية ، بل إنها دهشت لبراعة كاتبها فى التحليل وتبيين الدوافع التى حملت بطل القصة على على ارتكاب أمر محرم يعافه الطبع المستقيم ، ولهذا صرفت النظر عن القيمة الفنية وأسقطت القصة من الحساب ، واكتفت بقصة « الغربال » .

وقد استرعى أمر هذا الشاب التفات لجنة القصص ، من حيث نبوغه فى فن القصة مع صغر سنه التى لا تتجاوز الثانية والعشرين ، فكان موقفها منه كموقف لجنة الشعر من الشاعر الترزى ... أثار إلى جانب دهشتها شيئاً من الشك ... وقصد إلى منزله بحلمية الزيتون الأستاذ عبد الله حبيب عضو لجنة التحكيم فى القصة ، وجلس معه فى غرفة الاستقبال ، وعلم الشاب أنه فاز فى المباراة ، وأنه سيمنح ميدالية ذهبية ، فقال :

— كم تساوى هذه الميدالية إذا بعتها ؟

— إنها يا بنى تتكلف نحو ثلاثة جنيهات لدقة صنعها ، ولكنك إذا بعتها فلن يزيد ثمنها على خمسين قرشاً .

— إننى جائع إلى القراءة ... أمر بالمكتبات فأرى فى واجهاتها « شعى » المؤلفات فى الآداب والفنون ، فأحس بالشوق إلى التهامها ، ولكنى أنصرف عنها آسفا كاسف البال ، لأنى

لا أقدر على ثمنها ، وكم أفضل جائزة مالية على هذه الميدالية ، لكى أشبع من قراءة هذه الكتب ...

وكان المقرر أن تقصر الجوائز المالية على الفائزين من غير الطلبة ، أما هؤلاء فيمنحون ميداليات ، خشية أن تصرفهم النقود عن الجد ، فينفقوها على شيء من اللهو ... ولكن الرغبة التى أبداها محمد يسرى كانت من أسباب الرجوع عن هذا القرار فمنح جائزة مالية كما منح غيره من الطلبة الفائزين .

بقية الفائزين :

فاز فى الشعر عدا الفائز الأول والشاعر السودانى — كمال النجمى وعبد المنعم حسن قنديل ومحمد الحناوى وسعد دعبس ويوسف زاهر ، وفاز فى الخطابة — عدا الأول — حسين دياب وطه محمود عثمان ومحيى الدين الحلوانى ، وفاز فى القصة محمد أمين حسونة (الأول) ومحمد يسرى أحمد الذى تقدم ذكره ومحمد رشاد حجازى وعبد الفتاح مجدى ونعيمة وصفى وإنعام إبراهيم النجار ومحمد شريف وفاز فى المسرحيات أحمد جاب الله شلبى ، وفاز فى التمثيليات الإذاعية عزالدين فراج ، وفاز محمد محمود زيتون فى الخطابة والشعر والتمثيليات الإذاعية ، وفاز محمد على ناصف فى القصة وفى المسرحيات (الأول) وفى التمثيليات الإذاعية ؛ وفاز محمد عبد الرازق مرزوق فى القصة وفى المسرحيات . وبلغ مجموع الفائزين فى فنون الأدب وباقى الفنون ١٢٠ ، وكانت الجوائز بعضها أدبى وبعضها مالى ، وبلغ مجموع الجوائز المالية ٥٠٠ جنيه .

ويلاحظ أنه لم يفز من الفتيات فى الأدب غير اثنتين فازتا فى القصة ، وقد كانت نسبتهن فى الموسيقى كبيرة وقد برعن فى العزف وخاصة على البيان رفيق الأنامل الناعمة .

الموسيقى والتمثيل :

كانت الأناشيد والموسيقى أضعف برنامج المهرجان ، وكان أغلب العزف بأنواعه ضربات على الآلات لا فن ولا طرب فيها ، وقد شغل مع هذا أكثر وقت المهرجان ، حتى ملّه الحاضرون . وإن لم يخل من ومضات ، كعزف ذلك الصغير على الكمان ، وضرب هذه الصغيرة على البيان ، وهما صغيران قدمهما نبوغهما المبكر إلى صفوف الشباب ..

وقد مثل فريق مدرسة الخديو إسماعيل الثانوية مسرحية إسماعيل الفاتح ، ومثل فريق هواة الأسرة الأباطية الفصل الثانى من مسرحية قيس ولبنى ، فأزال الفريقان ما ران على النفوس من ملل الموسيقى ، ودلا على كفاية الفرق المدرسية والهواة فى فن التمثيل المسرحى .

معرض الكتب والفنون :

وفى اليوم التالى لمهرجان الأوبرا ، وهو يوم السبت ، ناب عن معالى وزير المعارف الأستاذ إسماعيل القبانى المستشار الفنى لوزارة المعارف — فى افتتاح معرض الكتب ومعرض الفنون بدار خدمة الشباب (٧ شارع سليمان باشا) .

ويشتمل المعرض الأول على الكتب الصادرة فى سنة ١٩٤٧ التى بعث بها المؤلفون ودور النشر إلى المعرض بناء على طلب الإدارة . ويحوى معرض الفنون لوحات فى الرسم والتصوير بأنواعه ، وتماثيل وأشغالا يدوية وصناعات زخرفية ، قدمتها هيئات وأفراد وفرق هواة ومحترفين .

ويظل المعرضان مفتوحين للجمهور أسبوعا من يوم الافتتاح .

العباسى

مجلس مديرية الغربية

يعلن فى المناقصة عن توريد الأغذية اللازمة لمؤسساته بطنطا وكفر الزيات والمحلة الكبرى لمدة سنة وتطلب الشروط على عريضحال دمغة مرفقاً به إذن بريد بمبلغ ٣٠٠ مليم وتقدم العطاءات لغاية ظهر يوم ٢٠ (عشرين) مارس سنة ١٩٤٨ والمجلس حر فى قبول أو رفض أى عطاء بدون إبداء الأسباب . ٨٩٥٤

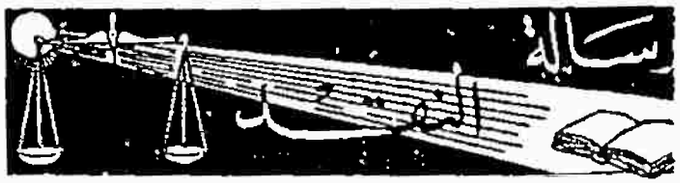

ميزان الحكمة (*)

لأبي الفتح عبد الرحمن المنصور الخازن

حققه وعلق عليه الأستاذ فؤاد جيمان

بقلم الأستاذ محمد عبد الغني حسن

هذا كتاب كان مخطوطاً فنشره لأول مرة في المطبعة العربية ستاذ فؤاد جيمان ، وذلك فضل يجب أن نسجله للناشر الذي ، أثراً من الآثار الإسلامية مجهولا عند المسلمين اليوم فآثر أن ضه على قراء العربية في طبعة أنيقة وذوق في الإخراج مع يق في بعض المواطن التي تحتاج إلى تعليق .

والحق أننا نحتاجون إلى إحياء التراث العربي وكشف ب عن ذخائره ، فإن كثيراً من هذه الآثار لا يزال مطموراً ظلمات لم يكتب لها إلى اليوم أن ترى النور . كما حدثني بذلك ستاذ الدكتور محمد سامي الدهان الذي رأى بعينيه كثيراً من وطات برلين العربية مدفوناً في دير من الأديرة الكاثوليكية لمانيا بعد أن صارت الساحة الألمانية غرضاً للتقابل الإنجليزية لذلك فرحت أشد الفرح حينما رأيت كتاب «ميزان الحكمة» ازن يظهر إلى دنيا المطبوعات بعد أن كان في عالم المخطوطات؛ كل مخطوط عربي يقدم إلى المطبعة اليوم فإنما هو يد يسديها ره إلى الأمة العربية وإلى تاريخها الطويل الذي أسهمت به بناء الحضارة مدة من الزمان .

وينبغي أن لا تخرجنا العجلة في طبع المخطوطات ونشرها عن اعد الصحيحة للنشر والتحقيق ، وأن لا تعجلنا الفرحة خراج عن الأناة في التحقيق والتحري له وحسن الضبط فيه ؛ من الخير أن يظل المخطوط مخطوطاً عن أن يخرج إلى الناس غير الوجه الذي أراده مؤلفه . وإن من الأمانة لتراث الأسلاف أن يظهر كما كان لا كما نتوهم نحن أن يكون .

ولا أعني بذلك أن أنقص من عمل الأستاذ فؤاد جيمان أو أن أهون من أمر إخراجه لكتاب «ميزان الحكمة» على هذا الوجه الذي طالعنا به مكتب الشروق للطباعة والنشر ، فأنا على ثقة أن عناية كبيرة بذلت في سبيل إخراج هذا المخطوط الذي تلفت منه كثير من الصفحات ، والذي فقد منه فوق ذلك جزء ليس بالقليل . فإن الفصول الثلاثة الأولى من الباب الثاني من المقالة الخامسة مفقودة ، وقد أشار الناشر إلى ذلك في ذيل صفحة ١٠٧ . أما الباب الثالث من هذه المقالة فلم أقف له على أثر في موضعه من الكتاب ولم أجد المحقق أشار إلى ذلك ، بل وصل ما بين البابين الثاني والرابع من غير تعرض لهذا الباب المفقود .

على أن إخراج المخطوطات يجب أن يرجع فيه إلى أكثر من مخطوط واحد حتى تتم المقابلة بين النسخ الخطية من الكتاب على أتم الوجوه . ولكن هذا العمل قد يعني القائمين به ويرهقهم من أمرهم عسراً . ولكن العسر في سبيل التحقيق العلمي هو وسيلة يهون عندها الوصول إلى أنبل الغايات ؛ وهي إظهار النص على حال لا يبعد به عن أصله الذي أراده له مؤلفه . ولا يلجأ إلى المخطوط الواحد إلا حين تنعدم من العالم نسخ خطية أخرى . فهل كان الشأن كذلك حين نشر الأستاذ جيمان هذا الكتاب عن نسخة خطية واحدة ؟

يقول الأستاذ قدري حافظ طوقان في التصدير الذي قدم به بين يدي الكتاب « إن فنصل روسيا في تبريز عثر صدفة في منتصف القرن الماضي على هذا الكتاب » كتاب ميزان الحكمة» ويقول في موضع آخر : « وأخيراً توفق الأستاذ فؤاد جيمان في الحصول على مخطوط لميزان الحكمة فنقله مع شيء من الشرح والتعليق» ويقول الأستاذ جيمان ناشر الكتاب في صفحة ١٧ : (وربما كانت النسخة التي بين أيدينا هي تلك النسخة الموجودة في فارس إذ لم أستطع أن أتبين تاريخها وذلك التشويه الكبير الذي ألم بها) . ويقول أيضاً في الصفحة نفسها : (لكن المستشرق الألماني ويدمان يذكر أن نسخة منه موجودة في أحد جوامع بهاي في الهند) .

(*) ١٠٨ صفحة من القطع الكبير — نشره مكتب الشرق بالقاهرة

هذه خلاصة قصة هذه المخطوطة كما ذكرها الناشر ومقدم الكتاب ، وليأذن لي الأستاذان الفاضلان أن نسخة خطية من هذا الكتاب توجد في « الخزانة الآصفية » وهي خزانة عامة « تحت نظم الدولة الآصفية » بالهند . واسم الكتاب مذكور في فهرس الخزانة ج ١ ص ١٢٥ كما ورد في كتاب « تذكرة النوادر » المطبوع في حيدراباد الدكن والذي أخرجته جمعية دائرة المعارف العثمانية سنة ١٣٥٠ هجرية . — راجع التذكرة ص١٦٦ وهذا المخطوط كما وصفته التذكرة بمقالاته الثمان — هو الذي نشره الأستاذ جيمان . ومعنى هذا أن من هذا الكتاب نسختين خطيتين كان أولى بالناشر أن يحصل على ثانيتهما بطريق التصوير مثلا ؛ فربما كانت هذا النسخة الآصفية أكثر ضبطاً وأكمل صفحات وأسلم من التلف . وبهذا كان يتجنب هذا الفراغ الكبير الذي تركه في الكتاب المطبوع معتذراً بتلف الأوراق أو فقدانها .

أما النسخة التي يذكر المؤلف أن المستشرق الألماني ويدمان يقول إنها موجودة في أحد جوامع بمباي بالهند فقد وقفت طويلا عند ذكرها وأطلت الوقوف ... ويظهر أنها مقالة أو أكثر من مقالات « ميزان الحكمة » نسخت في ربيع الآخر سنة ٥٨٥ بساحل بحر عمان في موضع نقال أي بعد حياة الخازن ببضع عشرات من السنين . ولكن « تذكرة النوادر » ومؤلفها أحد علماء الهند المعاصرين يذكر أن بين مخطوطتي الآصفية وجامع بمباي اختلافاً في عبارتهما وإن كان يذكر على سبيل الاحتمال أن الكتابين شيء واحد .

ويذكر الأستاذ قدري حافظ طوقان شيئاً عن ترجمة الخازن في الكلمة التي عنونها بهذا العنوان ؟ (من هو الخازن مؤلف هذا الكتاب ؟) . والحق أنها كلمة لا يسمو بها الإيجاز والاقتضاب أن ترتفع إلى مرتبة التعريف بعالم طبيعي من علماء المسلمين . ولو أنه نقل ما كتبه البيهقي في كتابه « تاريخ حكماء الإسلام » الذي حققه الأستاذ محمد كرد علي لك لأضاف إلى التعريف بالخازن شيئاً عن زهادة هذا العالم الجليل وعفة نفسه وجمال خلقه « ونقاء جيبه عن الأطماع الخسيسة » . كما يذكر المؤرخ « ظهير الدين » في كتابه صفحة ١٦٢ .

ويظهر لي — والله أعلم بالسرائر — أن الأستاذ الناشر أراد أن يخرج كتاب الخازن على أي وجه ... وأن الأستاذ طوقان أراد — أو أريد له — أن يقدم الكتاب على أي وجه ... فخرج الكتاب وظهرت المقدمة ... ولكن الكتاب لم يُظهر لنا « ميزان الحكمة » على أصله وحقيقته ؛ ومقدمة الأستاذ طوقان لم تظهر لنا « الخازن » الحكيم العربي على حقيقته . فإن الأستاذ طوقان يعلي من قدر « الخازن » إلى حد خشي معه أن يتوهم القارئ أن في ذلك انتقاصاً من قدر العلماء الأوربيين : « تورشلي » و« بسكال » و« بويل » . وما هناك بأس أن ننصف آباءنا العرب حين يجب النصفة . ولكن ماذا يقول الأستاذ طوقان في أن مقدمته كانت تحتاج إلى كثير من الشرح العلمي الطبيعي ، لا مقدمة عارية يعد بها فراغ . وما كان هناك موضع أولى بشرح نظريات « الخازن » من مقدمة لكتاب ألفه الخازن ليفهم على حقيقته بعد موته بأكثر من سبعة قرون وما كان هناك أحد أولى بمثل هذه المقدمة من الأستاذ العالم قدري حافظ طوقان . ولعل عالمنا العربي الجليل يعوض ذلك بمقال عن « الخازن » في إحدى المجلات العربية العلمية الرصينة .

أستغفر الله ما قصدت أن أعنف على ناشر له فضل النشر كالأستاذ جيمان ، ولا على عالم — له فضل التعريف بعالم عبقري — كالأستاذ طوقان ؛ فكلا الرجلين له فضل التقديم بأثر يعتز بذكراه المسلمون والعرب حين كانت لهم مقاليد العلم وميادين البحث — ولله عاقبة الأمور ...

محمد عبد الغني حسن

أحمد حسن الزيات

يقدم

في أصول الأدب

محاضرات ومقالات في الأدب العربي

ثمار الطابع :

٨٩ شهراً في المنفى

١٩٣١ – ١٩٣٨

تأليف الأستاذ محمود حسني العرابي

لو كان مؤلف هذا الكتاب أوروبياً أو أمريكيا لنال من ناهة الذكر وذيوع الصيت قسطاً وافراً ملحوظاً ! ولو أن ناحبه أزجاه — إذ قدمه لقراء العربية — على أنه ترجمة لمغامرات بجليزي أو فرنسي أو أمريكي لاشتد إقبالنا على الكتاب ، وأزداد كبارنا لصاحبه ، وعظمت في عيوننا شخصيته ، ولشمر الكتاب ن سواعد الجد والنشاط ، ونطلقوا يعددون مآثر ذلك المغامر لإفرنجي ، وراحوا ينعتونه بنعوت البطولة والمجد ، وخلعوا عليه مفات الشرف والإباء والمصابرة !

ولكن هذا الكتاب ليس سوى بعض ما صادفه الأديب كاتب المعروف الاستاذ محمود حسني العرابي في حياته الحافلة ، ن ألوان الشدائد والصعاب ، وضروب التجارب والمغامرات ، ند رحيله مكرهاً عن أرض وطنه الأول العزيز في عام ١٩٣١ إلى ى شاءت الظروف عودته إلى إحضانه في فصون عام ١٩٣٨ ، بيل اندلاع نيران الحرب الأخيرة .

وقد أجمل المؤلف الفاضل في فصول هذا الكتاب الضخم صف ما صادفه وما ألم به طوال مرحلة اغترابه عن مصر في عبارة نيقة عذبة وأسلوب قصصي أخاذ ، تتجلى فيه شخصية صاحبه لى نحو يتدر الاهتداء إلى نظائره في هذه الأيام !! فهو يحتاج من جاربه ويكتب دون حاجة ملحة إلى اصطناع الخيال أو التأنق في وصف الفني ، ذلك أن الأيام التي مرت به في غربته قد احتشد ها كثير من الأحداث التي يعجز الخيال الموغل عن تصوير بعضها ، بل إن في بعضها ما يفوق الخيال الذي يتخيله القابعون في مقر دورهم ، والمعتصمون ببروجهم العاجية الأنيقة المترفة !

ولقد سجل الأستاذ العرابي حوادث تلك الفترة العاصفة من حياته الدائمة السخب والضجيج تسجيلا فنياً لم نحظ بمثله — كما قدمنا — في كثير من كتب المغامرات عند الأوربيين ! ولقد جعله على نسق القصة ، فروى لنا حوادث تلك الفترة من حياته منذ غادر أرض مصر ، إلى أن قضى الله بأن يؤوب المغترب إلى أحضان أمه سالماً ، وسرد في غضون ذلك ما قاسى من آلام وغصص ، ونوه بما صادفه من عقبات وما عاناه من أوصاب ، ولم ينس أن يفضي إلى القارئ ببعض غرامياته وصداقاته التي هونت عليه أهوال الغربة وغصص الحرمان والفاقة !

وفي الكتاب تصوير صادق لحنينه إلى الوطن . فقد حدث وهو في محنته ببرلين ، أن قدم رهط من المصريين لشهود مهرجانات الألعاب الأولمبية التي أقيمت بالعاصمة الألمانية عام ١٩٣٦ ، وتصادف أن جلس ذات مساء في مقهى بها ، إلى مائدة مجاورة لمائدة جماعة من أولئك المواطنين الزائرين الذين أنطلقوا ينتقصون وطنهم في غير رحمة ، ويبدون إعجابهم بعظمة الحضارة الألمانية ، ويعربون عن أملهم في الإقامة ببرلين ، ينهلون من مفاتنها ، ويقبسون من سنى حضارتها ولآلائها ؛ فأبرى لهم يسفه آراءهم وينصح لهم بالابقاء على حب أمهم الرءوم مصر ، والعودة إلى أحضانها حيث يعملون على الرقي بها إلى حيث العلا والفلاح . وأشتبك معهم في حوار رائع حقاً ، تجلى فيه حنين المغترب المحروم إلى وطنه النائي العزيز . ولولا معرفة صاحب هذا القلم بالأستاذ العرابي . وإدراكه مبلغ ما تنطوي عليه نفسه الشاعرة الحساسة من هوى مضطرم لا حد له بمصر وكل ما يتصل بمصر ، لخال ذلك ضرباً من الإيغال في الخيال ، أو نوعاً من المبالغات التي يعمد إليها الكتاب في معظم الأحيان توسلا بها إلى ترويج بضاعتهم المزجاة !

والجزء الثالث من هذه الذكريات قد وقفه الكاتب على نشاطه في سبيل الدعوة والعرب ، وهو في منفاه ؛ ففيه سرد مسهب مفصل لنشاطه حينما تولى رياسة النادي العربي في برلين ، ذلك النادي الذي بذل المؤلف من وقته ونشاطه ما عاد عليه بالنجح

والتوفيق فى أداء رسالته الثقافية والرياضية ، أما من النشاط السياسى لذلك النادى ، فيكفى الإلماع إلى مظاهرته قضية فلسطين وتأييده الصادق لها فى فترة الاضطرابات التى عمت البلاد المقدسة قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية .

هذا والأستاذ المؤلف لا يعرف التأنق فى العبارة ، ولا يعشق المبالغة فى إظهار عواطفه ، وأسلوبه خير شاهد على ذلك الصدق الفنى المنقطع النظير .

والحق أن المكتبة العربية لتفخر بتلك الذكريات الحاشدة الحافلة ، وترحب بها كل ترحيب ، وتفسح لها مكاناً بارزاً مرموقاً ، وترجو لها الذيوع والانتشار الجديرين بأمثال هذه الدراسات الجادة التطوية على التجربة الصادقة والنظرة المستقيمة المستوية ، والروح المؤمنة المطمئنة إلى عدالة موقفها وعدالة قضية بلادها ، وأحقيتها فى الحياة الحرة الكريمة .

مختار الوكيل

أنات غريب

تأليف الأستاذ حبيب الزحلاوى

كان أدب الأقصوصة إلى وقت قريب هو أكثر الآداب تأخراً فى اللغة العربية ، ولعل للسينما أثراً كبيراً فى هذا التخلف ، فقد كانت تخطف كل نجم تأمل فيه الخير حتى احتسبنا الله فى الأقصوصة وقنعنا من الأدب بألوانه البواقى الأخرى .

قد كان ذا .. حتى خرج إلينا الأستاذ حبيب بهذه المجموعة الأخيرة فإذا بها ترد إلينا أملا كدنا نفقده ، وتطمئننا أن للأقصوصة أصحابها .. والأستاذ حبيب أديب مطبوع بارع فى حبكة قصته ، ماهر فى إيجاد العقدة وحلها ، وهو بعد ذو قدرة فائقة فى التمسك بقارئه حتى ينتهى من قصته .

ليس من اليسور أن أتكلم عن جميع الأقاصيص التى ديجها الأستاذ حبيب فى مجموعته الأخيرة ولكننى فى قصته الثانية لاحظت له رأياً متطرفاً بعض الشىء نظم فيه قواعد عامة للقصة يصعب علينا أن نقبلها مرة واحدة .. وقبل تأمل هذه القواعد يطيب لى أن ألفت الأستاذ حبيباً — وهو أستاذ لا مراء — إلى أن صفة الأستاذية يجب علينا نحن أن نضفيها عليه منزلين بذلك الأمر فى منزله ، أما إذا قالها هو عن نفسه فإنى أخشى أن يظن الجاهلون أننا لا نعطى ذا الحق حقه حتى فى الأدب .

عنوان هذه الأقصوصة « دميم » وهى فى ذاتها جميلة .. ولكنه حين ساقها قدم لها بنقاش بينه وبين شاب من شداة الأدب ، وكان الشاب يستنكر على الأستاذ حبيب دعواه بأن الأقصوصة لابد لها من عقدة وحل وحبكة ووحدة زاعماً — أى الشاب — أنه سريع الخلق لأشخاص روايته قوى الديباجة فى عرضه للقصة وهو قانع بهاته المواهب معتقداً أنها فوق الكفاية ؛ ثم هو يعرض على الأستاذ حبيب مثالا هزيلا يستطيع أى قارىء أن يهدم الصلة بينه وبين القصة غير محتاج فى ذلك للأستاذ حبيب ليظهر زيفه ويقارن بينه وبين أقصوصته الكاملة « دميم » التى خلقها فى جلسته ليقتع الشاب بتفوقه عليه .

ولكن أيعتقد الأستاذ حبيب حقاً أنه لا غنى للقصة عن العقدة والحل ؟ ! فماذا نسمى « غاية المرأة » .. أهى أقصوصة أم مقال .. وإن كانت أقصوصة فأين العقدة .. فإن رضينا بحب الفتاة لرفيق صباها الذى ظهر فجأة عقدة .. فأين الحل ؟ ! .. لا والله إنها أقصوصة رائعة كل الروعة ولكنها ما زالت بغير عقدة ولا حل . « غاية المرأة » هذه أقصوصة يعالج فيها الأستاذ حبيب فتاة على أبواب الزواج ويتعمق نفسيتها من يوم أن تعرفت بخطيبها حتى ولدت منه .. وكم كان الأستاذ حبيب بارعاً فى عرضه هذا ! وكم كانت ريشته دقيقة فى رسم الخلجات التغايرة التى تمر بها نفسية الفتاة الشابة !

والأقاصيص الأخرى كلها من هذا النوع فى السمو .. تهدف جميعها إلى غاية ، وتخرج من أيها بعبرة .. وهذا لون من ألوان القصص .. ولكنه لا يمنع القصص غير ذات الهدف أن تكون هى الأخرى جميلة .. ولا يمنعنا نحن أن نقدر الطاقة الفنية المبذولة فى هاته القصص .

« أنات غريب » عنوان يجبه القارىء ويوقفه مشفقاً على هذا الغريب يمز عليه أن يحل بمصر عربى أديب ويطلق فى أجوائها الرحبة آهة مهما خفتت .. وهى التى تنزل الضيوف جميعاً أهلا فكيف بالأديب .. ولكن قبل هذا التساؤل .. أهو غريب ! . أيحل أى منا غريباً بأى قطر عربى !.. لا والله كانا فيه الأهل . دارت بذهنى هذه الأسئلة وما زالت به تدور حتى قرأت الإهداء فأثر فتحفظى واستقرت .. لقد كان العنوان ابن غمامة زائلة بددتها شمس مصر الضاحكة فأطلقت أستاذنا حبيباً مشرقاً ضاحكا

روت أباظه

حقيقة الفضاء :

عاد الأستاذ العقاد يناقشني فيما لم أقله ، ويعرض عما قلته . لو كان يستوعب « مصادره العلمية » جيداً لما كان مضطراً أن يحمل رده الأخير مقتصراً على الإشارة إلى محاضرة ألقاها العلامة إنشطين سنة ١٩٣٠ في جامعة نوتنجهام لكي يأخذ منها فقرة ظن أنه جبهني بها .

ليست هذه الفقرة محور المحاضرة وإنما جاءت في سياقها أن إينشطين قالها قبلا منذ أعلن نظريته النسبية سنة ١٩٠٢ ، قالها بعد ذلك مراراً ، وقالها آخرون قبله وبعده ، وما هي مانية على أحد . وهي أن الأمواج الكهرطيسية مالئة الفضاء . منها أمواج الضوء الذي نراه وأمواج الراديو التي نحس بها . الكهرطيسية شيء مادي لا روحي ؛ لأنها ذرات منحلة صادرة ن الشمس والنجوم . وهي ما سموه ضوئيات (فوتونات) . هي التي سماها إنشطين وغيره من العلماء « مادة الفضاء » . Space Substanc

وهذا ما قلته أنا مراراً . وفي هذه المجلة أيضاً قلته غير مرة . نظر صفحة ٢٤٤٤ . فماذا الذي يرد عليه أستاذنا ؟

لا أدري سوى أنه يريد أن يكون المتكلم الأخير في هذه لمناقشة . فأنا أتعهد له منذ الآن أن هذه المجالة ، هي كلمتي لأخيرة في موضوع وفيته حقه في جميع مقالاتي في هذه المجلة لا سيما المقالة الأخيرة وفي كتابي النسبية . وله بعد ذلك أن قول ما يشاء .

كل ما قلته في هذا الموضوع لا أنقض منه حرفاً . فأرجو ن الأستاذ أن يستوعبه جيداً .

وأما قوله أن الفضاء نفسه هو مصدر تكوين المادة فهو لسفته الخاصة لأنا لم نعلمه من سواه وإلا فليدلنا على من قاله .

الحقيقة الراهنة أن المادة أوجدت الفضاء . لولا المادة ما كان فضاء . (والمراد بالفضاء الحيز الذي تشغله المادة — هذه ملاحظة للقارىء الكريم) .

أما الزمن أو (الوقت) فما هو إلا مقياس الحركة ، أي حركة المادة . لولا حركة المادة لما كان وقت ، وإلا فما معنى دقيقة وساعة ويوم وعام وقرن ؟

بقي أن الأستاذ لم يقل لنا شيئاً عن فيثاغوراس الذي أدخله في المناقشة عنوة ولماذا أدخله ؟ ألم يجد في مقال في القنطف ما يناقشني فيه ، فاستعار ذلك الفيلسوف القديم ليجعله موضوع مناقشة . والسلام والتحية للأستاذ .

نقولا الحداد

هول تعليق العباس على قصيدة الجارم بك :

قرأت ما كتبه الأستاذ العباس تعليقاً على قصيدة الشاعر الكبير على الجارم بك في تأبين المغفور له أنطون الجميل باشا وفي هذا التعليق يقول الأستاذ — ولكني آخذ عليه قوله :

نسي الشعر في صراع الرزايا رنة الكأس والغزال الأغنا
شغلته مآتم ونعوش عن هوى زينب وعن وعدلبنى

فإن مجرد ذكر الكأس الرنة والغزال الأغن وهوى زينب ووعدلبنى لا يتفق والمقام .

وفي رأيي أن مجرد ذكر هذه الأشياء لا يحط من قدر الشاعر ولا يهجن شعره في الرثاء — مادام ذلك مشفوعاً بصراع الرزايا ، وبالمآتم والنعوش — ولعل الشاعر يريد أن يصف حالة يعانيها في نفسه لا تحيط بها نحن — وأنت ترى أن دريد بن الصمة قد افتتح قصيدته المشهورة في رثاء أخيه عبد الله بالنسيب إذ يقول :

أرث جديد الحبل من أم معبد بعاقبة أم أخلفت كل موعد ؟

ولم أسمع من النقاد من اعترض عليه أو تصدى لنقده ، لأنه أراد أن يسجل الحادثة التي دارت بينه وبين أم معبد زوجه حينما لامته في حزنه على أخيه نطلقها .

وما أرى أن نسير في ركاب « ابن وكيع » وهو صاحب كتاب المنصف الذي ألفه في بيان سرقات المتنبي — وكان ينظر دائماً بعين السخط إلى شعره — لأن أبا الطيب كان قد هجاه — كما يقول بعض المؤرخين — فعاب عليه من جملة ما عاب هذا البيت .

صلاة الله خالقنا حنوط على الوجه المكفن بالجمال

وقال « ووصفه أم الملك بالوجه الجميل غير مختار » .

قال الأستاذ قسطاكي الحمصي — صاحب منهل الوراد —

« لو ذاق ابن وكيع طعم الخواطر السامية ، وما كانت تولده مخيلة أبي الطيب له من الصور الصادقة لما انتقد هذا الانتقاد البارد فإن المتنبي لما تصورت له الميتة في ساعة النزع وما بعدها ، دعا لها بالرحمة لجمل الحنوط صلاة الرحمن ، وخطرت في فكره شناعة منظر الموت وما يجره على أبدع الصور من الانقلاب فاستدرك الدعاء بقوله على الوجه المكفن بالجمال ، وقال اليازجي « وجعل وجهها مكفناً بالجمال إشارة إلى أن الموت لم يغير محاسنها وإنما بقي عليها جمالها كالكفن »

أمين محمد عثمان

كشف تاريخي:

طبع تاريخ (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للمؤرخ الناقد شمس الدين السخاوي) فكتب كاتبون في « الرسالة » و « الثقافة » و « مجلة المجمع العلمي العربي » في الكشف عن مؤلف محاسن المساعي في مناقب الأوزاعي الذي كان نشره الكاتب الأكبر الأمير شكيب أرسلان رحمه الله ، غفلا من اسم المؤلف ، لأنه لم يهتد إليه . فقد جاء في الجزء ٢ ص ٧٢ من (الضوء اللامع) أن مؤلفه هو شهاب الدين أحمد بن زيد الحنبلي المتوفى سنة ٨٧٠ كما في (شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد) ج٧ص٣١٠ ثم رأى بعضهم في فهرس دار الكتب المصرية أن فيها نسخة من محاسن المساعي منسوبة إلى الحافظ بن حجر ، فاستبعدوا صحة هذه النسبة ، دون أن يعارضوا المطبوعة بالمخطوطة للفصل في هذا الشأن . فقمت أنا بهذا الأمر فتبينت أن المخطوطة هي المطبوعة إلا أن في تلك زيادات كثيرة في المقدمة وفي غضون الكتاب ولا سيما في الفصل المعقود لذكر بعض ما اختاره الأوزاعي من المسائل الفقهية ، ففي المخطوطة أكثر من ضعف ما في المطبوعة من الانفرادات والاختيارات الفقهية . وفي المطبوعة من مراثي الأوزاعي ٦ أبيات ليس غير ، وفي المخطوطة ٦٨ بيتاً لبضعة شعراء

واسم المؤلف في المخطوطة مكتوب بخط غير خط النسخة ، فلعلها وقعت في يد أحدهم غفلا من اسم المؤلف فنسبها إلى الحافظ ابن حجر بلا تحقيق .

وفي (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التوريخ) للشمس السخاوي ، إن مؤلفه سرد أسماء المؤلفات التي ألفت في تاريخ رجال مخصوصين ، وذلك في آخر كتابه الجواهر والدرر في ترجمة الحافظ ابن حجر ، فلعله بتيسر الرجوع إلى نسخة دار الكتب المصرية من هذا الكتاب لزيادة التثبت ، وأرى هناك في جريدة مؤلفات ابن حجر إن كان ألف في هذا الموضوع ؛ لأن تلميذه الأثير السخاوي هو أعرف الناس بذلك .

محمد أسامة عليبة

جوانى وبرانى :

هاتان الكلمتان عربيتان فصيحتان فقد وردتا في حديث أفصح العرب والعجم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاب الكشكول لبهاء الدين العاملي صفحة ٨٧ ، ٨٨ طبعة الليجي سنة ١٣١٨ وهذا نص الحديث .

روى الحارث الهمداني عن أمير المؤمنين كرم الله وجهه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا علي ما من عبد إلا وله جوانى وبرانى ، بمعنى سريرة وعلانية ؛ فمن أصلح جوانيه أصلح الله برانيه ؛ ومن أفسد جوانيه أفسد الله برانيه . وما من أحد إلا وله صيت في أهل السماء فإذا حسن وضع الله له ذلك في الأرض ؛ وإذا ساء صيته في السماء وضع له ذلك في الأرض . فسئل عن صيته ما هو قال : ذكره .

فلا غضاضة إذا استعملنا هاتين الكلمتين بمعنى الداخل والخارج لأنهما صدرتا من أفصح ولد عدنان القائل « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش »

حسين سلامة رباب

لبس في رسالة الغفران :

ورد في رسالة الغفران لأبي العلاء المرى عند العبور على الصراط « فوجدتني لا أستمسك . فقالت الزهراء صلى الله عليها لجارية من جواريها يا فلانة : أجيزيه . فجعلت تمارسني وأنا أتساقط عن يمين وشمال . فقلت يا هذه إن أردت سلامتي فاستعملي معي قول القائل :

ستٌ إن أعياك أمرى فاحليني زقفونة

هارون محمد أمين

(الرسالة) : (مى) مختزلة من سيدى المعرفة عن سَيِّدى ثم لحقتها التاء للتفريق بين المذكر والمؤنث

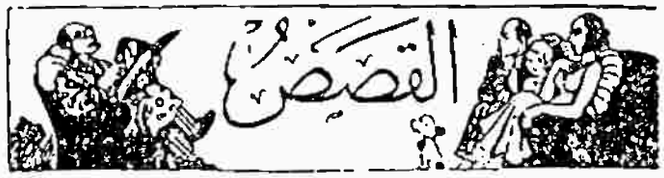

الاعـــتزال !

للكاتب الانجليزى هانفورد هونسون

بقلم الأديب سيد أحمد قناوى

غطت الآنسة « ويلدون » آلة الكتابة بعد أن نال منها الملل وأدركها الكلال ثم ارتدت معطفها الخفيف الداكن اللون ألقت نظرة سريعة على المنضدة الكبيرة التى أمامها ثم أطفأت مصباح الصغير لتبارح مكان عملها .

كانت قد تأخرت عن موعد انصرافها من العمل كل ليلة ، لكل الغرف قد أقفرت من شاغليها وأمست العمارة الكبيرة صمت موحش ، وسكون رهيب ... ولكنها لم تكن فى حاجة الى الإسراع فى العودة إلى منزلها الصغير ، فليس هناك من تنتظرها ...

وهذا العمل ينصبها إلى حد ما عزلتها الموحشة التى تعيش بها فضلا عن أن تأخرها يساعدها على أن تجد مقعداً فى السيارة ستريح فيه من عناء يوم قضته فى العمل بدون انقطاع ولا فتور .

كانت الآنسة « ويلدون » قد بلغت السادسة والثلاثين من عمرها ... ولم تسعد بما تسميه الفتيات « اللحظة السعيدة » ؛ فهى تحظ بزوج يخفف عنها أعباء الحياة ، ولم تعرف رجلا شريفاً تذهب بها إلى « دوراليا » ، ولم يقدرلها قط أن تجد شابا عند الباب ينتظرها ليتأبط ذراعها ويسير بها إلى حيث يعلم هو وحده . كانت قد سمعت بهذا كله همساً من الفتيات الكثيرات اللاتى عملت إلى جانبهن ... ولكنها هى لم تعرف حقيقة الشاعر التى تجىء فى ضوء هذه الحوادث ... ومع ذلك فهى سعيدة بعملها سعيدة بغرفتها الصغيرة فى (بيزووتر) . وبذلك الطريق الهادىء الذى تقطعه على قدميها كل صباح وسط « كنجستون جاردنز » ، فاذا أظلم الليل وعادت إلى غرفتها وجدت فرصة طيبة لتتناول كوباً من الشاى ثم لتأكل بعض البيض والجبن ثم تنصرف إلى المطالعة ...

وتذكرت « الآنسة ويلدون » وهى تهبط الدرج إلى باب المنزل أن برنامج الإذاعة جميل ، وعلى هذا فستستطيع أن تقضى بعض الوقت فى سماع الموسيقى ؛ وقد تستطيع بعد ذلك أن تضطجع فى فراشها لتقرأ قصة من القصص العاطفية التى تدخرها لاحظات العزلة .

وبلغت الآنسة « ويلدون » الطريق ولكنها وجدت ما أدهشها ... فقد كانت السماء تمطر مطراً خيل إليها أنه يزداد لحظة بعد لحظة ، وصدمتها هذه الحقيقة فهى لم تفكر فى هذا المطر ولم تتوقعه . ثم إن معطفها الخفيف لا يمكن أن يرد عنها البرد وإن رد عنها وقطرات المطر إلى حين ، وضاقت بالمارة الكثيرين الذين يسرعون الخطى إلى محطة السيارات لأنها ان تجد المقعد الخالى الذى ترجو أن تستريح فيه . وإنه لا يبقى أمامها إلا أن تسير على قدميها مسافة لا تقل عن ميل حتى تصل إلى محطة الترو ، وهى مسافة ليست قصيرة ولا يسيرة فى هذا المطر الوابل

ولكن الآنسة « ويلدون » تكره البقاء بلا عمل فجمعت أطراف معطفها حولها وراحت تجد فى السير ... وفجأة أحست يدا تلمس ذراعها فدارت على عقبيها لتجد نفسها أمام وجه باسم لرجل فى قرابة الثلاثين من عمره . قطبت الآنسة « ويلدون » حاجبيها ، فهى لا تعرف هذا العبث ولا تستمرئه ، ولكن الرجل لم يلبث أن قال لها فى هدوء :

— لا تسرعى هكذا ، أن ثيابك مبللة .. خذى هذا .

ومدّ الرجل يده بمعطف من المعاطف التى تقى من المطر .. ودون أن تدرك ما تقول أجابت فى همس :

— شكراً لك .. إننى راضية بهذا البلل . .

ولعلها كانت تريد أن تضع حداً لهذه القصة التى لا تسيغها ولا تريدها . ولكن الرجل لم ينصرف بل قال :

— لا تكونى حمقاء . إنك تسيرين بنفسك إلى حتفك

فهمست قائلة :

— ولو كان هذا حقاً فماذا فيه ؟

فابتسم الرجل وهو يقول :

— ليس جميلا أن يموت الإنسان فى مثل هذه السن . تدثرى بالمعطف ، وانقذى هذا الصدر الجميل .

وكان صوت الرجل قوياً يحمل على الطاعة ، وكان جديداً على سمعها لم تعرفه من قبل ، وهى إلى جانب هذا فى حاجة إلى هذا المعطف ، فلم تشعر إلا بالمعطف حول جسمها ، فمدت ذراعيها لتستكمل ارتداءه ثم ضمت أطرافه حول صدرها وهى تقول :

— ولكن ماذا تصنع أنت ؟

— إن ثيابى غليظة ، وأنا رجل .

— شكراً لك .

ولم تكن الآنسة «ويلدون» تعرف ما تقول ، فهى لم تشعر قط بأنها كانت يوماً ما موضع عناية أو اهتمام من أحد ، اللهم إلا مستر « بردفور » الشيخ الذى تعمل سكرتيرة له ، ولكن شتان بين هذا وذاك ! على أن الذى كان يشغلها هو ماذا يكون بعد هذا ...

ولم تلبث الدهشة أن استولت عليها عند ما سمعت الرجل يقول لها :

— هل تناولت الشاى ؟

ولم تكن فى الواقع قد تناولت شيئاً بعد الظهر ولهذا أجابت بسرعة : — لا ...

ولعلها أحست فى سؤال الرجل أنه يدعوها إلى قدح من الشاى ؛ وهى وإن كانت حقاً فى حاجة إلى شراب ساخن بعد أن بللها المطر إلا أنها لم تكن لها خبرة بمثل هذه الدعوات فاعتذرت شاكرة ، ولكن الرجل تظاهر بأنه لم يسمع شيئاً وقال :

— هيا بنا ، هناك مكان دافىء نجد فيه حاجتنا .

ولدهشة الآنسة « ويلدون » رأت نفسها تسير إلى جانب الرجل وقد تأبط ذراعها ، وأحست بأصابعه تلامس صدرها ..

ورأت كأنها تقرأ قصة من قصص الفراغ التى تدخرها لوقت النوم . وولجا الباب وأعجبها المكان كما لذها الدفء فلما انتحيا ركنا بجوار المدفأة قال الرجل وقد تهلل وجهه :

— الآن تستطيعين أن تخلعى المعطف حتى تجف ثيابك .

ورجت هى أن تهنأ بلحظة سعيدة كهذه اللحظات التى سمعت عنها فأطاعت الرجل وراحت تحتسى الشاى فى سكون .

ومرت اللحظات فى أحاديث عن الجو والرياضة ، وفجأة نظر الرجل فى ساعته ثم قال :

— يا إلهى ! لقد كدت أنسى أن أمى دعتنى إلى العشاء هذه الليلة . لقد أعدت لى دجاجة كبيرة ... إننى أتركك الآن ؛ ولكن لا تسرعى فى الخروج فسأدفع للساقى ثمن الشاى .

— ولكن كيف أرد إليك معطفك ؟ وكانت وهى تقول ذلك تأمل أن يتفقا على موعد لعله يكون فى الغد . وضحك الرجل ضحكة مرحة ثم قال :

لقد نسيت هذا ... على أية حال هذه بطاقتى إذا شئت أن تتحدثى إلى فى أمر المعطف . ومد الرجل يده بالبطاقة ثم انصرف . وظلت الآنسة « ويلدون » برهة فى شبه حلم ، فقد كان الحادث كله غريباً لم تألفه ، وكان كل ما مر بها منذ أن تركت مكان عملها يرغمها على أن تفكر فى أشياء لم تكن لتتوقع حدوثها قط .

وألقت نظرة خاطفة على البطاقة فقرأت فيها :

« جون برونت » وكيل شركة المعاطف الواقية من المطر .

ولفيت فى طرف البطاقة إشارة تلفت النظر إلى ما خط فى ظاهر البطاقة ، فلما قلبت البطاقة قرأت ما يأتى :

« إذا أعجبك هذا المعطف فأرسلى لنا جنيها وعشرة شلنات وإلا فاتصلى بنا تلفونياً فنرسل إليك من يتسلمه منك » .

وبذلك تبددت أحلام الآنسة « ويلدون » ومرت بها قصة عاطفية قصيرة كلفتها جنيها وعشرة شلنات ولكنها أبقت لديها أثراً لما هو معطف جديد المطر ...

وهكذا انصرفت الآنسة « ويلدون » عن الناس وآثرت أن تعيش على هامش الحياة .

سيد أحمد قناوى